أغنيات للوطن

شعر



عبدالله زاقوب

مجلس الثقافة العام

حسن أبو يوسف الدويشي

أغنيـــات للوطـــن

أغنيـات للوطـن

ومضات في عشق الوطن

عبدالله زاقوب

النـاشـر

مجلـس الثـقافـة العـام

اسـم الكـتاب أغنيات للوطن

اسـم المؤلـف عبدالله زاقوب

سـنـة النـشـر 2006م

رقـم الإيـداع 7244 / 2006 م

الترقيم الدولي ISBN - 9959 - 38 - 158 - 7

تصميم الغلاف علي العباني

التنفيذ الفني عاطف الأطرش - نجلاء المنقوش

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس - مجمع المؤتمرات - سرت

هاتف 002185468622 - بريد مصور 002185473161

فرع طرابلس - عمارة الواحات - شارع عمر المختار

هاتف 00218214449894 - بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

فرع بنغازي - الفويهات الغربية - الطريق الدائري الثاني

هاتف 00218612241577 - 00218612241578

بريد مصور 00218612241576 - ص ب 9351 بنغازي

بريد إلكتروني - LCC2_2005@yahoo. ca

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

تنفيذ الطباعة

القاهرة ت 0020123140315

الإهداء

إلى وطني .. وموطني
إلى إخوتي .. وأخواتي
.. أبنائهم وأحفادهم
وإلى دنيا توأم الفرح

عبد الله زاقوب
هون ربيع 2005

مفتتــح
ومضــات

كان، وما زال، وسيظل.. الوطن، أغنية، ملحمـة شـجية، وعذبـة، تهفهف وترف بالقلب، وفي السماوات تـسعى، وتـدبّ عـلى الأرض، وشماً غائراً، مرسوماً وموسوماً به الجسد، لا يبلى ولا ينمحي.

وبالرغم من كل ما كان، وما هو كائن، ومـا سـيكون، سـيبقى الوطن نشيداً، نهتف به في الصباحات، وعند الظهيرة، وبالمساءات حينما يكون القمر غافياً، أو عندما يكون مشتعلاً، وتوأماً للحبيبة.

الوطن فضاء مطل، بوابة، بحر شاسـع لا يحـدُّ.. مديـدٌ هـو لا يختصر، ولا يمكن ابتساره.

وكما لكل منا، أمه وحبيبته، لكـل منـا وطنـه، يـضيق ويتـسع، بحجم حبه وعشقه، ومدى اتساع القلـب، وقدرتـه عـلى العـشق، وتحملّه دلال معشوقه..

.. يضع عديداً منا، المقاييس، والموازيين، والحدود، والـضوابط والمحددات، والاشتراطات، لحبـه، ومـدى اسـتجابة محبوبـه لهـذا العطاء المقنن والمشرعن، والمؤدلج.

لعمري، هذا حب بلاستيكي، مقولب، جاف، ممنهج، ومحكوم

عليه بالذبحة الصدرية، وبالموت سلفاً.

كثيرون هم الذين يقيسون مدى حبهم، ومقداره، بمدى الجدوى وحجم ما يجنونه من مكاسب، وأعطيات، ملموسة ومتحققة.

وهؤلاء وأولئك، حسبما أظن وأعرف، بعيدون جداً، وغير معنيين بالحب على الإطلاق.

هذه الأغنيات، جاءت عفو الخاطر، وخارج الأيديولوجيا، والخطط المسبقة والمعدة سلفاً، ولم تدخل معامل التحليل، ولم تتعرض للاختبارات الدقيقة..

يجمع بين هذه النبضات، الومضات، الدفقات.. عديد الوشائج والعلائق الوثقى، التي تهزج بالمطر اللائق والدافق.. سيلاً عرماً عامراً بالأماني والأحلام، الموصولة بالصدق والنبل، والبوح الشفيف.

في هذه الصفحات، حل النثر بديلاً عن الشعر في بعض الأوقات..

وكان الشعر حاضراً في أحيان أخرى.

هي بين أيديكم الآن، لكم أن تحفظوها، ولكم أن تطلقوها للريح علها تسافر لأوطان أخرى.. لربما وجدت هناك من يتغنى بها.

عبد الله زاقوب
هون / ربيع
2005

أبجديات

إن التغني والزهو بالأوطان، والفخر و الجهر بذلك وإشهاره.. لهو تأكيد للانتماء، وترسيخ للهوية، والإعلان عنها، والبوح بها.. دون شطط أو تطرف ولا تعصب ولاشوفينية..

فحب الوطن درجات ومراتب، عتبات وسلالم، تبدأ من الأصغر.. فالأكبر فالأكبر.. البيت والعائلة.. القرية أو الواحة فالمدينة فالوطن فالأمة.. إلى الوطن الكبير..

أنهار ومحيطات.. بحار وبحيرات، أشجار وغابات، أعمدة ومسلات قصور وباحات، مسارح وقاعات، أبهاء وردهات، سطور ومجلدات، مدن وحضارات، ازدهرت عبر الأزمنة والعصور نفخر ونفاخر بها..

تلك هي مقامات الحضارة العربية الإسلامية.. أنبياء ورسل، كتب ومصاحف، علماء وفقهاء، رواة ومحققون، فنانون وأدباء، مؤرخون وجغرافيون، أطباء وجراحون، قادة ومحاربون..

علموا الدنيا، أبجديات الحروف والحروب.. الفن والأخلاق والأدب، ومصطلحات التكوين، ومفاهيم الحضارة..

من صحراء العرب، أخذت الدنيا دياناتها، وتعاليمها الدينية

والدنيوية طقوسها وعباداتها، وأسرارها الإلهية..

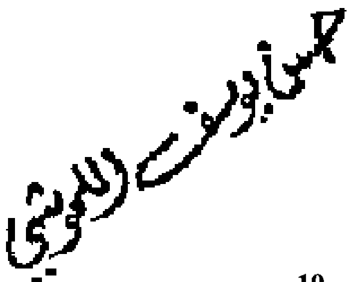
كما أن الإبجديات والحروف، واللغات، والنحو والصرف والعروض والشعر والنثر، والسحر وعلوم الفلك، كان هنا مهدها الأول وبداياتها.. وجنباً إلى جنب مع الحضارات الشرقية الآخرى الضاربة في عمق التاريخ..

إن التغني والزهو بالأوطان، والانتماء إليها، يؤكد مدى تجذر المشاعر الوطنية، وعمقها، ومدى صلابتها، وحقيقتها أيضاً، ومنذ البدء، كان على الطرف الآخر، الأعداء والمتربصون، الحاقدون أعداء الحياة..

من هولاكو، وجنكيزخان، إلى تيمور لنك، ومن كسرى إلى قمبيز والإسكندر الأكبر، إلى يوليوس قيصر، ومن نابليون إلى غرسياني ومن السفاح بن غوريون إلى الجزار شارون.

ومن الحملات المغولية، إلى الحملات الصليبية..

ذلك هو قدر الأمة العربية، وتلك حتمية الأشياء.



تداعيات

وطني أنـت لي والخـصم راغـمُ   وطنـي أنـت كـل المنـى
وطني أن تسلم أنت سالـــم   ولك العز دومـاً و الهنـاء

قرأنا كتـاب الـوطن، في البيـت أولاً..وبالمدرسـة تاليـاً، ثـم في مؤسسات المجتمع لاحقاً..

مـن المقرر لم يبق إلا كتاب الوطن، اندثر سواه وتبخـر عـداه، مـنذ المراحل الدراسية الأساسية الأولى..

كان ولا يزال حب الوطن، مفردة غنية ودافئة، مدماك أسـاسي وحقيقة تتلوها بقية الحقائق..

لمـــن المُلـــك أو المُلـــكُ لمـــن   هـــو لله و أبنـــاء الـــوطن
وطـــن أبنـــاءه نحـــن فـــإن   لم نكن سـادته نحـن فمـن

أربعة عقود مضت، منذ أن قرأنا هـذا النـشيد.. لكنـه لا يـزال حاراً وطازجاً ومتألقاً، ولا زالت معانيه ومفرداتـه طريـة وعذبـة، وتثير في النفس البهجة والشجن.

وطـــنٌ آليـــت ألا أبيعـــه   ولا أرى غيري له الدهر مالكـا

سلالم وثريات، نجوم وشموس، تبزغ وتـشرق مـن بـين هـذه

المفردات والكلمات النابعة من الأغوار البعيدة، تؤلف أغنية لم تغنَّ، طفلاً هو الوطن وحباً لا يكبر ولا يشيخ..

الوطن الحلم، ذاك الذي يكتسي كل هذه المباهج والتداعيات ويلم شعث ما تبعثر من ألق وتهويمات..

صاغ الشعراء ومنذ الأزمنة الموغلة، عقود الماس، والأحجار الكريمة النفيسة، و بحرفية شفيفة، وعالية، و بمزاج مهندم توفر لها الزمن والصياغة و السبك اللائقان ومنحوها الحب، بل العشق و الهيام المطلوبين.. كي تكتسي البريق والألق والنجومية، والخلود.. متحدية الريح الزمهرير والأمواج الهوجاء.

لنخلد اسم الوطن، كما يجب أن يكون، وكما ينبغي له أن يبدو و نهديه المهج والأرواح والأفئدة..

كلمات وأبيات ، قصائد ومعلقات.. ملاحم وحكايات، كتبت بماء العيون.. نقشت على الرقائق والمخطوطات وبالكتب حفظت عن ظهر قلب في الحوافظ، كي لا تنسى .

لنخلد ونمجد عالياً اسم الوطن..

عتبات

إن من أهم الأسس التربوية، الملقاة على عاتق الأسرة، خاصة، والمجتمع بأنماطه ومؤسساته وهيئاته المختلفة، التعليمية منها والشبابية الأهلية والطوعية، بشكل عام هو إيصال مفهوم جلي وواضح يتمحور حول أن الوطن، هو الأساس الأول، بعد الإيمان بالله، في هذا الكون، وهذه الحياة.

وهذا لا يتأتى، إلا بغرس هذه الأطروحة، هذه النبتة عبر المفاهيم، والمسلكيات، والبديهيات اليومية، في البيت أولاً، حيث يتلقى الأبناء، المفاتيح والعتبات والدرجات الأولى، والمداميك الأساسية للبناء الأسرى.

من خلال البيت، ينتقل الأبناء إلى المؤسسات التعليمة والتربوية ليتلقوا المناهج الأولية، المؤسسة للذهنية والعقلية الناشئة هذا يلقى على عاتق المربين والمعلمين، تبعات ومسئوليات جسمية لإيصال هذه القيمة المعنوية العالية والراقية، وتحسيسهم بأن حب الوطن لا يقاس بمدى الانتفاع أو التحصيل أو الكسب المادي المباشر، فحب الوطن قيمة عليا، لا يجب ربطها بمدى ما نحققه من مكتسبات مادية زائلة..

فالوطن أكبر من أن يحصر ويحدد و يؤطر فيما نحققه ونرتهن به

من حاجيات ضئيلة وعابرة..

فالماديون الطفيليون، هم من يربط بين ما يكتسبه أو يحققه من مآثر مادية عابرة، واشتراطات بماذا تحقق وما لم يتحقق.

فالوطن انتماء لا محدود، ولا زمن له، فضاء لا يحد، مساحة فسيحة تتجلى وتتألق بالمبدعين والمتألقين من أبنائه الغيورين، المنحازين نحو الغد، المستقبل، الآتي، حيث لا يتأتى ذلك إلا بالعشق والتفاني، والعطاء اللامحدود، غير المؤطر أغنية دافقة متدفقة، تحت الأجيال الطالعة، والصاعدة للصعود والرقي لخلق نهارات، وصباحات مشرقة واعدة. فحب الوطن لا يتعلم، بل يرضع مع حليب الأمهات ويلقن مع أولويات تبديل الخطوات الأولى..

ويلهج به.. مع الكلمات وحروف النطق..

مباهج

من أين لي القلب الذي ينساكَ، والعين التـي تغمـض ولا تـرى مباهجك وطني/ كيف لي أن أنسى بحراً كبحرك، مخضباً بالـدماءِ والبطولات مديداً واسعاً كرحابة الكون.

تحتضن شواطئه الرمال الشفيفة الناعمـة، تحرسـه عيـون يقظـة ساهرة لا تنام.

كيف لي أن أنسى نخلاً، كنخلك عملاقاً يافعاً، وسامقاً ينـاطح عنان السماء، وفير العطاء، شهي الغلال، وهـو الـذي أعـان أهلنـا على تجاوز أزمنة العوز والفاقة، أزمنة الأهوال والشدائد.

فمن ينسى وطنه، ينـسى أمـسه وغـده، فمنـذ أزمنـة الطفولـة البكر، نكبر ويكبر معنا حب الوطن.

كثـيرة هـي الأوقـات التـي أنفقناهـا، في الأزقـة والحـارات والساحات نلهو ونلعب، في أزمنة مضت، ويومـاً إثـر يـوم، عامـاً بعد عام صرنا نعرف قيمة ومهابة الوطن.

هانحن نكبر، وهاهو يكبر، لينغل حبه في دماءنا، ليهطل متماهياً كالنسغ، مورقاً أزاهير وأعطيات.

حبك أيها الوطن، رضعناه مع حليب أمهاتنا، فـصار توأمـاً لنـا

ملاصقاً لنا كظلنا، أينما حللنا، وحيثما ارتحلنا، ينام ويصحو معنا ولا يبارح مآقينا..

هاهو يسعى فتصير له أرجل يمشي بها، ورئة يتنفس عبرها ، فمن ينسى وطنه، يصير بلا قلب.. يتضاءل، يتلاشى يصير كقلب من خشب، دون دم، وبلا نبض.

ينام الوطن في العينين، متمدداً، كما تنام الأم والحبيبة، كمفتتح لقصيدة موحية، متدفقة وحارة.. كبرنا وصارت لنا حبيباتنا، نَحُنُّ لهنّ، ونركن إليهن.

بالحبيبة تعمَّق، تجذَّر حب الوطن، نما وترعرع.

كيف لي أن أصف شيئاً يصف نفسه، وينضج حبه على نارٍ هادئة، البحر، الرمل، النخل، التمر، الزيتون، الخوخ والمشمش، الفل والزعتر، الكمأ وحليب النوق هذا هو الوطن.. وطن الجمال والحب والأمل..

تحنان

كثيرة هي البلدان التي عشقناها، التي زرناها، والتي سمعنا، وقرأنا عن بعضها الآخر، كما شاهدنا غيرها الكثير، على الشاشات الفضائية.

لكن هذا العشق هش وفضفاض، أمام أصالة و عراقة عشق هذا الوطن.

هذا الوطن الذي أحببناه وعشقناه، وتهنا بعشقه، كفانا هواه مورق بالقلب، متجذر فيه، لا يتنحى ولا يتزحزح، هذا العشق يدب كسريان الدم في الشرايين، كالنسغ الصاعد في نسيج الشجر المتطاولِ.

حبنا لهذا الوطن متربع في السويداء، بقراه النائية، الحالمة، الوادعة والمستلقية باسترخاء ومودة بين أحضان بحر الرمال العظيم.

هذه الوله الممزوج من بوح وخفر، مد وجزر، بين الجبل والبر والبحر وهذه المدن الممتدة، المستلقية على حافة البحر، تستمتع بدفء الشمس نهاراً، طزاجة تنفس الرمال ليلاً.

تزدان هذه الحقول الغناء، بثمارها المتنوعة، أشجارها اليانعة التي تفيء بظلالها الوارفة على امتداد البصر، ترفرف الخضرة الغامقة على المكان، قاهرة بانسياب الماء العذب الفرات، تلك

الصفرة الموحشة، تغمر قدميها في أحضان الماء الدافئ، ليلاً لتزيل عنها عناء ومشاق الرحلة النهارية، مشرئبة رؤوس النخل في تسامق ووله، طامحة لمطاولة العلا هناك في الفوق، علها تحقق التوق بتلمس صفحة السماء، ليتم العناق الأبدي بينهما.

هذا النخيل الضارب بجذوره في الأعماق، يمتص الرحيق من الأسفل ليعطي في الأعلى، حيث الأعناق الرحيق المصفى، اللذيذ اللائق بأهله، في تناغم وتمازج بديعين.. فكم هو معطاء هذا المتعالي المتسامق في عليائه، المجاور للشمس نهاراً، وللقمر عند المساء، لا أروع ولا أبهى من هذه المنظومة الغرائبية، المتكونة من شمس وقمر. بَرٌّ وبحرٌ، سهل وجبل، نخل وزيتون، رمل وحجر.

تآلف وتحنان بين المدن والقرى، بين البادية والحواضر..

تداخل وتمازج بين الريف والواحة، بين الخضرة والاصفرار..

هذه الفسيفساء البديعة الرائعة، المضمخة بعرق الكادحين الطامحين إلى صنع الغد المشرق البديع.

هتاف

حينما نغنى للوطن، ونُشيّد عمارته، نهتف عالياً، فليحيا الوطن..

نهزج بتنوع يوحي ، للسامع والرائي، بالتباين والاختلاف، لكنه الاختلاف، المؤتلف والمتسق.

فالمجرودة والكشك، أو الموقف، والزحلالي، النخيخة والدبدابة والسواقي، المرزكاوي، وأغاني العَلمْ.. وغناء الطوارق والدبدحة أو النخيخ، وحتى المألوف والموشحات الأندلسية.. والى ضمة القشة.. كلها مفتتح لنشيد واحد، هو الوطن..

عميقة ومتجذرة، نابعة من السويداء، هي كلمات الحب التي تشيد بالمعشوقة والحبيبة.. ومن هي تلك الحبيبة ؟.. هي حبة في مسبحة الوطن، هي التميمة، والأيقونة المباركة، هي نجمة من نجوم الوطن، هي بيت في القصيدة، هي قطرة في بحر الوطن.

هي كوكب في مجرة الوطن..

فحينما يتغنى الشعراء الشعبيون في قصائدهم المصحوبة بإيقاع وتصفيق الأيدي الموّحد، الموحي، حتى وإن غمض بعض ما يقال، لكن دائماً نجد أنفسنا مشدودين إلى ذلك الإيقاع الإنساني الرفيع

الصادق والموغل في بدائيته وشفافيته الفطرية.

حيث يحيلك البوح المفضي إلى الأعماق الرحبة المورقة والمعتزة بتراب الوطن، والتي أثبتت عبر الزمن، ودائماً بأنها وفيةٌ ولم تفرط في شبر من ترابه.

من هناك، من سواحل درنة، وهضاب البطنان، إلى الجبل الأخضر الشامخ، والوارف الظلال، إلى سواحل الخليج المعمَّد بالدم، إلى نخيل ووديان مصراته وزليطن والخمس، إلى عروس المدائن المزنرة بالحدائق، والجنان والبساتين، الموشاة بالفل والزعتر والقرنفل والياسمين، طرابلس التي تكسرت على ضفافها وشواطئها سفن الأعداء والقراصنة، عبر الحقب والسنين، إلى بنغازي الشامخة ، شموخ جبال الأكاكوس.

إلى الزاوية، بحقولها الغناء، المطرزة بالليمون والزيتون ومنجبة الفرسان، إلى غريان الرابضة بعزة وإباء فوق الجبل الأغر، إلى غدامس واحة الفن والعشق الصوفي التليد.

إلى واحاتنا.. مرتع الخصب ومنبع الفن الخالد، ومصدر الإلهام، والصخرة التي تحطمت عليها هامات الغزاة الطامعين.

بوابات

إن الشعوب، التي بنت الحضارات العظيمة، وشيدت المعابد، وأقواس النصر، وعمّرت المساجد والكنائس، وساهمت في رقي الأمم وتقدمها، وصنعت الأمجاد، وكان لها السبق وبآلاف السنين، الدول التي تهدد بقوتها، وجبروتها اليوم، قادرة وبلا أدنى شك.. الذود والدفاع عن هذه الأرض، وعن تلك المكتسبات، المادية والثقافية.. إن الحضارة العربية والإسلامية، والتي وضعت اللبنات الأولى في سلم تطور وتقدم الإنسانية في كافة المجالات، وفروع المعرفة المختلفة بفعالية، وقدرة خلاقة، وبتدرج سلس، وتطور متدرج، ومتأني بدءاً من اكتشاف الأبجديات، واللغات، والاختراعات، والصناعات ووضع القوانين والتشريعات..

تجلى ذلك في بلاد الرافدين، ومن خلال حضارات اليمن، وعلى ضفاف النيل بمصر والسودان، وما قدمته حضارات بلاد الشام بمختلف مسمياتها وفي شمال أفريقيا والجزيرة العربية، تستطيع اليوم أن تكسر شوكة الأعداء والطغاة، وعتاة الأباطرة المعاصرين..

إن الشعب العربي في كافة أقطاره، يعتصره الألم والحزن والأسى والحسرة، لوجود هذه الحواجز والموانع والحدود والبوابات، التي تنتصب، وتقف، حائلاً ومانعاً أمام انطلاقه

وعبوره، لصنع يوم الوحدة المنشود.. ودخوله عصر الفضاءات الرحبة لصنع المستقبل الواحد.

منطلقاً من قدرته الفاعلة والمبدعة، والخلاّقة، من أجل التحرير والفعل الجسور.

فكم من جحافل وألوية تكسرت على ضفاف دجلة والفرات..

وكم من جيوش وكتائب، سالت دمائها، وسقطت أعناق جنودها في فلسطين، وأمام أسوار دمشق!!

جحافل وألوية، قادة وزعماء، قراصنة ووجهاء، من الشمال والجنوب من الشرق والغرب، أديان وقوميات.. طموحات وأطماع..

انتهوا جميعاً، وبقت الأمة العربية وجماهيرها.. تقاوم وتقاتل وحتى اليوم، متمسكين بإيمانهم وأرضهم وحقوقهم المشروعة ضد شرعة القوة، ومنهاج الظلم والاستكبار بكافة ألوانه ومسمياته وإرهاصاته وربما أكاذيبه وتبجحاته.

غزوات

منذ الأماد البعيدة، القرون الموغلة، في تلك الأزمنة التي لم تصنع فيها البوارج، ولا حاملات الطائرات، ولا الصواريخ ذاتية الدفع، ولم يتم فيها اكتشاف النفط، ولم تعرف فيها العبَّارات، ولا الغواصات ولا عرفت خلالها أهمية المضائق والبحار الدافئة.

في تلك الآونة، والحقب، استُهدف الوطن العربي..

لأنه يتكلم بلغة مغايرة، ويبنى حضارته بشكل مميز، ولأنه منبع الأديان السماوية، والدساتير والشرائع الوضعية، تلك الأديان والشرائع التي تشع نوراً وألقاً، ويقيناً راسخاً، وإشعاعاً لا يخبو.. له بريق.. ولا ينضب له عطاء.

استهدف لعمقه الحضاري، وثروته الفكرية، وثراءه الروحي العظيم ، استهدف لخيراته الكثيرة والمتنوعة، مواسمه التي لا تنقطع عطاءاته التي لا تحد، البشرية والطبيعية..

منذ بلقيس، زنوبيا، نبوخذ نصّر، هانيبال، سيف ابن ذي يزن إلى القسّام وعبد القادر الجزائرى وعبد الكريم الخطابي، وعمر المختار.

استهدفت تدمر، البتراء، وأشور وبابل، والقدس وبغداد ودمشق والمنصورة، وقرطاج.

كما استبيحت صيدا وصور وطرابلس والقيروان وفاس وصنعاء حملات متوالية، غزوات متعاقبة، حروب لا تنقطع..

خيول وعربات، سفن ورايات، سيوف وخناجر، سهام ونبال حرائق ودمار، قتال وحصار، خنادق وأسوار..

مدافع وطائرات، تحطمت وتكسرت، على الشواطئ ومداخل المدن، أكوام من الجثث، مقابر لا تعد ولا تحصى، للأعداء الغزاة..

حملات الغزاة والطامعين، تكررت ولا زالت.. وبأشكال متغيرة ومبررات، تكون واهية أحياناً، وخطيرة وقاتلة في أوقات أخرى ، حملات وغزوات، حاقدة ومدمرة، في معظم الأوقات، وعلى مر الدهور.

من أقاصي الأرض جاءوا، من الشمال البارد، من أسيا البعيدة حيث السهوب والوديان، والكهوف والأدغال.

جاء هولاكو، تيمور لانك، جنكيزخان، أعداء الحضارة، أعداء الإنسان.

إيقاع

من الماء إلى الماء / ومن الصحراء إلى الصحراء / ومن الرمل إلى الرمل، وطن واحد، لغة واحدة، إرث واحد، مصير واحد، رغم التباين السطحي، الظاهري، المختلف والمصطنع، المرسوم والمبرمج، أغنية واحدة، قصيدة نابضة، بمقطع شاسع، لحنجرة واحدة، موال طويل، لفلاح قروى.. بملامح سمراء، دبغتها الشمس وتلطخ وامتزج بطين الأرض.. في تعز أو مكناس، لا نستطيع التفريق والتمييز، بين مفرداته، ونوتته الموسيقية، وإيقاعه المنغم الشجي.

وحدة تطفح، تعلو، في كريات الدم، النبض والخلايا، وبمجرد اللقاء الأول، وفي أي بقعة من بقاع الأرض، حيث الحنين للذات المتمثلة في الآخر.. النحن.

وحدة جذور.. أصول ومنابت، منطلقات وغايات، متأصلة متجذرة، راسخة وعميقة.. بعيدة الغور، أكدّتها ورسختها المِحَنُ والملمات، الهزائم والانتصارات، العواصف الانكسارات.

رغم أمزجة ومقاصد، ورغائب وأهواء الحكام، عُبَّاد الكراسي.. الذين وقفوا، ضد زحف شعوبهم وجماهيرهم.. وحلمهم المهدور في الحرية والوحدة..

خبت وهوت وانطفت أحلام الجموع.. لكنها لم تمت فهي حية في الضمائر والسرائر، في المقل والحناجر، في القلوب والمشاعر، فالمعارك الكبرى، والملاحم الضخمة، هي التي وحدّت الجماهير وأيقظت مشاعرها، وألهبت عواطفها..

فمنذ القادسية إلى حطين وعين جالوت.. حتى مرج دابق إلى القرضابية ، فمن انتصارات خالد ابن الوليد، وصلاح الدين الأيوبي، وعمر المختار، وعبد القادر الجزائرى، وجمال عبد الناصر، وأحمد بن بلا ، إلى العمليات الاستشهادية في الضفة والقطاع، ومعارك تحرير بيروت.

كلها معارك، ضد الآخر، الآخر الطامع والطامح لوأد أحلام وطموحات جماهير هذه الأمة..

ولكن هيهات، فهذه الأمة، عظيمة.. وقادرة وبالرغم من كل شيء.. على تحقيق الانتصارات.

أضـــواء

إن صيرورة الحياة، واستمراريتها، بكل إيجابياتها، وتناقضاتها، تتأكد بمدى النجاح والإخفاق، وهذا لا يتأتي إلا بالعمل والإنتاج والعطاء ، وهذا كله رهن بالصواب والخطأ.. فمن المؤكد أن الذين لا يعملون لا يخطئون، ولأنهم بعيدون عن النقد والتقييم كذلك!

والممارسة العملية، اليومية للأفراد والجماعات، للوظائف والمهن والأعمال هي التي تفضي بذلك.. إلى الكمال أو محايثته، والرغبة في الوصول إليه..

ولأن الذين يعملون بصدق، وجد ومثابرة، بالضرورة يلازمهم الخطأ، لا لأنهم خطاءون بالضرورة والحتمية، بل لأنهم بشر.. ولأنهم على تماس واحتكاك مباشر مع الآخر.. وهذا الآخر المختلف سلوكياً ورؤيوياً بالسببية.. يتحتم تالياً وسببياً، أن يتم التباين والتناقض والاختلاف الذي يروق للآخر الانتهازي، والباحث عن النقائص والهفوات وسرقة الأضواء، الباحث عن الشهرة، سرقة جهد الآخرين.. لكن الوطن يستوعب كافة أبنائه، الذين يعملون.. والآخرين.. الذين ربما استفادوا من تجارب وإخفاقات العاملين..

فأكاليل الغار، أوسمة الوفاء، قلائد التكريم، لا تمنح إلا

للعاملين المتميزين والمبدعين..

أما الهامشيون، والانتهازيون، الـذين في قلـوبهم مـرض، فلـن يلتفت لهم التاريخ، بل سيكونون عبئاً عليه.. وسيتم نـسيانهم وإلى الأبد. إن جوهر الحياة، وسيرورتها.. رهن بالعمل والتألق، والنقد والمراجعـة والمكاشـفة، والنقـد الـذاتي، البنـاء، الهـادف إلى تعريـة الأخطاء، ومحاسبة الذات والآخرين .. والاستفادة مـن التجربـة، ثم محاولة التقييم، وإعادة البنـاء، أي الفـرز والبيـان، والتـدقيق.. للانطلاق صوب الخلق والبناء والترميم، وإعادة الهيكلة..

الوطن للجميع.. وبالجميع.. المثقفون والتكنـوقراط.. الأسـاتذة والطلاب.. المنتجون.. الرجال والنساء، منهم، وعلى حدّ سـواء. إن الحـوار الـواعي، والنقـاش الـصريح، وإمكانيـة الالتقـاء والتفـاهم والمصارحة، تُمكِّنُ من اتخاذ المواقف والقرارات الناضجة..

الوعي، والثقافة، والنقد، مراحل مهمة وضرورية، ومتطلبـات أساسية وجوهرية، غايات لا مناص من تحقيقها، والوصول إليهـا من أجل عيون الوطن، رفعته، وتسامق هامته.

ينابيع

حبىَ الخالقُ هذا الوطن، بصور من البهاء والروعة والجـمال مـا هو خليق ولائق بأهله، بالـصحراء البهيـة الـشاسعة، ذات الأفـق اللامتناهي، صفرة مذهبة، تحيل على البداءة، وإلى أزمنـة التكـوين الأوليّ، النشأة البكر، الدهشة والشفافية والطهر.

هي الفطرة، والروح المبـدع.. الـصحراء الموسـومة بالـسكينة، الينابيع المصفاة الرائقة.. الهدوء والعودة إلى الينابيع.

الينابيع، يا لروعة الجـداول، العيـون والبحـيرات، تلـك التـي تسكن الاصـفرار، تقهـره، تتطـاول عليـه، وتتحـداه. ولـربما هـو التزاوج والعشق والتوحد..

البحيرات التي تطرز الصحراء، عقد يُحـلي العـروس المبهجـة، التي تتخطف أنظار الجميلات، جميلات هذا الوطن..

بحيرة كبحيرة "قبرعون"(*) هي من الجمال آية أخاذة ومبهـرة، في بحر الرمال العظيم، الطافح بهضاب الرمل اللامحدود، تبرز ودونـما مقدمات.. مساحة من الماء وسط الهجير الطاغي، طوفان من الرمال

(*) بحيرة في عمق الصحراء الليبية ، ضمن سلسلة من البحيرات التي جفّ بعضها ، وبعضها لا يزال يقاوم زحف الرمال.

الصفراء اللامتناهية، عبقرية الخالق، التي تتجسد في خلقه منذ الأزل، يحتدم الصراع بين الرمل والماء.. زحف وئيد للأصفر النهم لالتهام البحيرة والاستحواذ عليها.. لكنها تابى لم تزل..

بحيرة في عمق الصحراء، في قلب القلب، يزنرها حزام من الخضرة الغامقة الضاربة نحو السواد، أشجار وأعشاب وأطيار، تقاوم الزمهرير طيور صدَّاحة في قلب العراء، هي من البهاء والمفارقة التي تأسر اللب والفؤاد.. وتضاعف من خفقان القلب..

أفواج من السياح والزوار لا تنقطع، يأمون هذه البحيرات وعلى مدار العام، من مختلف أصقاع الأرض.. جنسيات ولغات من القارات الخمس، مأخوذون بهذه الأعجوبة، والتي كثيرٌ منا لا يعرف عنها إلا القليل.

مناظر.. ربما يقصر الوصف عنها.. ورسم صورة دقيقة لها..

أينما يممت وجهك، تحيط بك وتحاصرك الرمال، أسطورة من أساطير هذا الوطن.. يحج إليها كل مطلع شمس رجال ونساء من أقاصي الكون..

أليست إذاً من الأعاجيب التي تستحق أن تزار.

عنفوان

على وقع خطوات أقدامهم، وهتاف حناجرهم، وخفقات قلوبهم، يموسق الوطن أغنياته، ويهطل المطر، فرحاً وغبطة، وينسج بردته المزركشة.. تزهر وتتفتح ورود بساتينه، تنور شمسه، وتنشد أطياره، وتحلق نوارسه، ونسوره عالياً حيث الذرى.

مزيج من التألق، التحليق في الأعالي، حيث قطعان السحب المهاجرة وأقواس النصر مزدانة بالألوان، تورق بهجة وحبوراً.. حماس طفولي بهيج.. ينهض منذ الصباح، ضاجاً وممتلئاً بالحركة منعتقاً ومتحرراً من القيود والأصفاد التي تحد وتمنع هذا الزخم من الاشتعال والتحفز والانهمار..

على وقع أقدامهم، كالفراشات، يرتدي الوطن أبهى حلة وأزهى رداء مزهواً، متأنقاً، ومحتفياً، بالعصافير الطليقة المغردة. رائق هذا النهار، وكل النهارات الصبوحة، حيث يطلق أطفالنا كل العصافير من أقفاصها، ويشعلون قناديل الفرح الوضيء ، رائعون هم في الصباحات الندية، وفي كل وقت..

على وقع أقدامهم، وهتاف حناجرهم، وخفقات قلوبهم، المملؤة والمتدفقة، كالينابيع الدفاقة الفائرة.. الضاجة والمعطاءة. صفاءٌ ناعمٌ كالبلور، كالندى، كالنهار الوليد، يتجلى ويتخلق كل

صباح عبر هذا النشيد، حيث نُعلي ونشُيّد عمارة هذا الوطن..

نرفع ونُعلي راية ونشيد هـذا الـوطن، ونُـسمع أركـان الأرض عزف النشيد..

ائتلاف متـين، واثـق رصـين، لا انفكـاك لـه، تؤكـده الحنـاجر والقلوب الطافحة بالبشر والألـق والطهـر والعنفـوان عـلى وقـع أقدامهم تعشب الأرض، تتفتح وتـورق الـبراعم والغـصون تينـاً ورطباً وعنباً.. وتخضل بـالورق الـصافي، فـلاً وياسـمين يموسـق الأطفـال يـومهم، بـدءاً بنـشيد الـصباح، الـذي يعمّـق عـشقهم، وحضورهم الطافح ألقاً وبوحاً وعنفوان.

على وقع أقدامهم، وطلاوة أصواتهم، وأغنيـاتهم التـي يهتفـون من خلالها، بعزة هذا الفضاء، الذي هو بمساحة الكون، وعمقه.. عشق هو برحابة الدنيا، واتساعها ، فعـلى وقـع أقـدامهم يتـسامق واثقاً، صوت الوطن..

أناشيد

وطني المنمق بالواحات، الوارفة الظلال، الممتدة على بحيرات الماء العذب، في الزمن الموغل، حيث البعيد، حينما كان الكون طفلاً يحبو هذه الواحات محروسة بنخيلها الشامخ، المتعالي..

هذا النخل الذي تغنى به الشعراء والزجالون، أثناء معارك الجهاد ، حينما أقفل المستعمر الحدود والموانئ، ولم يجد أهلنا وغيرهم سواه كغذاء لذيذ، ومكتفٍ بذاته.

كما أن أمهاتنا وجداتنا، كنَّ ، وعلى أصوات الرحى في الصباحات والأماسي البهية، يتغنين بهذه السامقة المتعالية..

مئات الأغاني والأمثال، وربما الآلاف، النابعة من القلب، جاءت صادقة صافية، رقراقة، شفافة، وموحية، تغني بها الفلاحون أثناء تأديتهم لأعمال استخراج المياه والسقاية، في تلك "المراجع" بالليالي الشتائية الشديدة البرودة، وأثناء الليالي الصيفية المقمرة.

أغنيات تشيد بحب الأرض، والاعتزاز والافتخار بحب الوطن كان الفلاحون أثنائها يعزفون الأناشيد، ويموسقون الكلمات التي نحتوها من شرايينهم وأوردتهم، عشقاً لا يضاهى.. ولا يبارى ، تلك لعمري سمفونيات أخلد وأبقى، وأطول عمراً..

هذه الواحات "النائية" في عيون الآخرين، هي في نظر أهلها، أجمل وأبهى، ببيوتاتها الملاصقة للأرض، والمشيدة من الطين اللَبِن والمسقوفة بجريد وجذوع النخل، هي أقرب إلى القلب من تلك المدن المشيدة من الأسمنت والحديد تلك التي تسودها العلاقات الآنية الزائلة، ويعمها الضجيج، ويغمرها الغبار والدخان...

هذه الواحات، كانت مقصد المسافرين، واستراحة المتحاربين. فكم عبرتها من قوافل، وكم استضافت من غرباء، وأطعمت وسقت من جياع وظمآنين.

فما زالت أسفار الرحالة والمغامرين والمستكشفين، تنبئنا بما كان في تلك الأيام الخوالي..

ولم تزل الكثير من المخطوطات، والكتب النفائس ترقد هانئة تبحث عمن يزيل عنها الغبار، ويفك طلاسمها، لتسعى بين الناس حكايا وأقاصيص.

تماهٍ

كبرنـا وكـبر معنـا عـشق الـوطن، كبرنـا وصـارت لنـا حبيباتنـا، نَحِـنُّ لهـنَّ ونـركن إلـيهن، وبالحبيبـة تجـذر حـب الـوطن، نـما وترعـرع، كمفتـتح لقـصيدة سـامقة، متدفقـة وباذخـة، كالـشمس للنهـار، كـالقمر النـاثر فـضته، المُـشّع، في الدروب القروية، والصحاري المدلهمة الشاسعة.

كيف لي أن أتغنى، بجيادك المُطهمة، وفرسانها الأشـداء المهـرة، أرقص طرباً حينما أشاهد هؤلاء الفرسان، وهم يعتلون تلك الجياد بلباسهم التقليدي، معجونين بطين الوطن، مولعين بعشقه كيف لي أن أتغنى بمهرك الفارعة والفارهـة، برجـال الـصحراء المـدبوغين بشمس الصحراء الحارقة، بملابسهم الفضفاضة، حراس الثغور.. المغنين بولهٍ لا يبارى.. تمازجهم الأبدي مـع الـصحراء مـزاوجين بين الرقص والغناء، الشهد المصفى، بوح عفيف ينبئ عن عراقة لا تضاهى.

لوحة فسيفسائية، منمقة وموحية، تفضي للنبـع الـذي لا يغـور ماؤه، طارحاً ثماره المشبعة بالأصالة والعمق..

وطن يحيلـك إلى مـن تحـب، عيـون الحبيبـة، قهـوة الـصباح ولحظـات الـصفاء، والانـدغام والتماهـي، ورضى الـنفس عـن

الذات والآخرين.

لحظات العشق الصوفي النقي، المتسامي والمترفع عن الصغائر، كيف لي أن أنسى وطناً بحجم الكون، دفقاً لا ينضب، كالينابيع عطاؤك يا وطني، رقراق دافق، لا ينضب ولا يجد.

يكتب الشعراء القصائد الملحمية.. غزلاً وتودداً في حب الوطن، يحرث الفلاحون الأرض، حينها يجدِّلون شعر الوطن، يغوص البحارة بحثاً عن كنوز الوطن وأعطياته الثرة النادرة.

نسمات الوطن تطفئ وهج الظهيرة، وشمسها اللاهبة، وتشعلُ القناديل المطفأة، أغنية للوطن بحجم الأرض ورحابة الكون وحرارة الشمس وأشعتها، عميقة كالبحر، وشاسعة كالبراري، دافقة وحارة كالنبض، طليقة كنوارس بحرنا، رشيقة كوعول جبالنا، عطرة وشفافة كزهور وديانناا، ومراعينا..ألقة كنوارة "بوقرعون"(*) في ربيع بلادنا، حبنا عميق وأصيل كالمطر الهاطل برداً وسلاما، يروى الظمأ، وينبت العشب والكمأ.. مبشراً بطلوع شمس غدٍ واعد.

(*) زهور برية رقيقة، تنمو في فصل الربيع ..

شواهد

وطني لو شغلت بالخلد عنهُ   نازعتي إليه في الخلد نفسي

هذا الوطن الممتد من الماء إلى الماء، ومن الماء إلى الرمل،ومن الرمل إلى الجبل، ومن الجبل إلى الجبل.

هذا الوطن المرصع بالمدن والقرى، الواحات والحواضر والأرياف الرغدة الهانئة.

منذ الأزل الموغل.. كان هوا أو كهف فطيح أو الفتايح بالقرب من درنة شاهداً على حياة أهلنا الأوائل.. وها هي الأوابد والكهوف والرسومات على صخور الأكاكوس.. هناك في الجنوب.. العربات التي تجرها الخيول التي توصَّل إليها أجدادنا بعبقريتهم الفذة منذ آلاف السنين، وهي لازالت طرية وناضجة، تطفح بالبشر والحضور، وجمالياتها الخلابة الفاتنة متجسدة في مئات الرسوم التي خلدها الزمن، رغم الرياح العاتية والشمس اللاهبة هاهي باقية كرمز حي، تتحدي وتؤكد مدى عمق تاريخ هذا الوطن الضارب بجذوره في الأعماق البعيدة..

هاهي المسارح والساحات، المعابد والحمامات، في شحات وصبراته ولبدة.. وقصر ليبيا، تصارع الزمن، وظواهره الطبيعية

الطارئة ، وكما قالوا "إنه لا يقهر الزمن إلا الكلمة، والحجر، والكلمة أطول عمراً" ، وما عثُر عليه في جرمة وقرزه وطلميثه وبرنيقي وطرابلس "أويا" وسلطان من آثار لا يحويها متحف ولا عشرات المتاحف، من نفائس ومجوهرات وحلي وأدوات.

ولو حدثتك عما في "سلطان" وفي فيللا سيلين من شواهد وروائع لسطرت الصفحات.. فيا لهذا الوطن الممتد من الماء إلى الماء ومن الماء إلى الرمل ومن الرمل إلى الجبل..

وما هو معروض بالمتاحف،لا يساوي شيئاً مما هو في أعماق الأرض وفي المخازن لم يشاهد بعد..

فلو ذكّرتك بعالم واحد هو العلاّمة الباحث الأثري "موري" الذي أنفق قرابة النصف قرن من عمره في البحث عن أثار الحياة ومقابر الأوائل في مناطق الجنوب، حيث عثر على المئات وربما الآلاف من الصور والشواهد في وديان وجبال الأكاكوس: قليلٌ منا، من قرأ عن هذه الحضارة، والأقل الذي زار تلك الأنحاء ووقف شاهداً على حقيقتها الناصعة.

تــألــق

أنجبت ليبيا وعلى مر العصور والدهور رموز في الفن والأدب، والكتابة الإبداعيــة علــماء وبلغــاء، شــعراء ومــؤرخين، روائيــين، وقــصاصين، نقــاد وفلاســفة بحيــث لا يخلــو فــرع مــن العلــوم أو الأدب، إلا وله وفيه رموز ومهارات جهابـذة وأسـاطين، فكـما هي المدن والقرى والحواضر تتنـافس وتتبـاري في المجـد والفخـر والجهاد.. تتنـافس في إنجـاب العلـماء والـشعراء والـرواد في كـل تخصص وعلم..

فالريادة هي الريادة، فالجهاد سنوات وأزمنة المحنـة والعـدوان أوفي أزمنة السلم والرفاه، جهاد هو مـن أجـل أن يتـسامق ويعلـو هذا الوطن إلى الذرى، متجلياً بـين الأوطـان والبلـدان ، فـشعراء الفصحى القدامي والمحدثون، لهم باع وعطـاء مـشهود منـذ أيـام قنابه والشارف وأحمد رفيق المهـدوى.. وحتـى آخـر شـاعر ينـشر نتاجه على صفحات شبكة المعلومات..

فنانون تشكيليون، رسـامون تقليـديون، نحـاتون وخطـاطون مسرحيون وصحفيون..

مدارس ومناهج وأكاديميـات، نهلـوا مـن الـشرق والغـرب.. وجلهم تتلمذ في بيئتنا الخصبة والمعطاء..

أعلام وقمم في الفن والأدب، شهد لهم القاصي والداني، عندما أتيحت لهم الفرصة، وسنحت الظروف، تميزوا وتفردوا، تألقوا داخل وخارج الوطن..

فقامات سامقة، مبدعة ومتألقة، مثل التليسي والمصراتي والنيهوم والفقيه والفاخري وعلى صدقي عبدالقادر "والقويريان" والكوني.. وخشيم.. وقامات فنية كعوض عبيده والزواوى، والعباني، والزويك، وفتحي العريبي... وغيرهم الكثير.. والكثير..

كثيرون هم.. ومبدعون هم.. فنانون وعلماء.. قصاصون وشعراء أعطوا وأبدعوا، فناً وأدباً راقياً وإنسانياً، تخليداً وتمجيداً عشقاً صافياً ومبهجاً.. في عيون الوطن..

مبدعون متألقون، كتاباتهم المبدعة تشي بذلك، لوحاتهم ، تعلن صباح مساء، مدى الحب والوله الذي يكنه هؤلاء للوطن..

تمائم، وعناقيد فلّ،قلائد، وسلالم من ضوء، مباهج ومسرات.. عطور وحلي.. هدايا لا تقدر.. خواتم من ماسٍ.. ونفائس من زبرجد، ذهب وفضة .. ياقوت ومرجان.

مباهـــاة

قال هيردوت المؤرخ:-

"من ليبيا دائماً يأتي شيء جديد" منذ ألفـي سـنة أو يزيـد، قـال هيردوت هذا الكلام الجميل اللائق المعـبِّر، عنـدما كانـت الأرض تنبت ثلاثة مواسم في الفصل الواحد.. عندما كانـت ليبيـا بـستاناً خصباً، ومنجم ثروات لا تضاهي، حيـث كانـت تـصدر الـشعير والحنطة والماشية إلى بلاد اليونان، ثم إلى روما، كما أنها كانت تنـتج نباتي اللوتس والسلفيوم، اللذين كانا لهما مفعول الـسحر واللـذين قال عنهما هوميروس على لسان أوديسيوس "مـن ذاق مـرة ذلـك الطعام الشهي سلا وطنه ورغب عن الإياب إليه أبداً".

وقال الشاعر الروماني كاتلوس:"ما أروع أرضك يا ليبيا وما أكثر مباهجها هناك يجود السلفيوم بعصيره في قورينا" -وحيث كان يقدَّر ثمن السلفيوم بوزنه فضة و ذهبـاً ولقـد قـال أحـد الإغريـق عنـدما وطأت أقدامهم أرض شحات- إنه "يوجد خرق في الـسماء" دلالـة على غزارة الأمطـار وديمومتهـا.. يتبـاهى الجبـل الأخـضر بطبيعتـه الأخاذة، وشلالاته الدافقة .. وخضرته الغامقة، و أشـجاره الوارفـة الباسقة - النادرة المثال.. بأطياره وأزهاره وأعشابه/ وأهـازيج أهلـه ومغانيهم المميزة وعراقتهم الأصيلة الواثقة.

يتميز أهله وقبائله، بأزيائهم البهية الرائعة، وبتقاليدهم النابعة من خصوصية الجبل وفرادته الفارقة.

مصراته.. بصناعاتها التقليدية.. وأخواتها تاورغاء وغدامس ومرزق وغات وأم المدائن وغريان، كل هذه العرائس وغيرها.. تنتج من الحلي والصناعات التقليدية من بسط ومفارش وفخاريات وسعفيات، ماهو فخيم وأنيق.

بساطة في التفاصيل، توحي بالعراقة، وامتلاك الصناع والحرفيين للذوق والقدرة على التجلي والإبداع.

حيث توارثوا هذه الحرف والمهن، التي تأخذ بالألباب/ وفي هذا العشق قال الأديب الدكتور الشاعر خليفة محمد التليسي.. متغزلاً:-

وقف عليها الحب شدت قيدنا ... أم أطلقت للكون فينا مشاعراً
وقف عليها الحب ساقط نخلها ... رُطباً جنياً أم حشيفاً ضامرا
وقف عليها الحب أمطر غيمها ... أم شح أو نسيت محباً ذاكرا
وقف عليها الحب كرُمى عينها ... تحلو منازلة الخطوب حواسرا
وقف عليها الحب تُنظم عقدنا ... ركباً توحّد خطوة وخواطرا
سنظل نمنحها الوفاء ونبتغي ... مهراً لها ما ترتضيه أوامرا
هل أنبتت غير الرجال بطولةً ... هل شيدت غير الرجال منائرا
لا أفق بعد اليوم غير جبينها ... رسمت به الأقدار نصراً باهرا

قصائد

بالرغم من هذا الاتساع الكبير، الشاسع المديد، وبالرغم من روعة هذا الساحل العظيم، وبدائية وسائل المواصلات، في العصور الغابرة، وصعوبة الطرق والمدقات، وخشونة وعنفوان الطقس، والمناخ في مجمل فصول السنة، وتعدد الأقاليم وتنوعها وأحياناً تباينها، فلقد صمد هذا الشعب، واستبسل أبناؤه فقدموا قوافل متعاقبة من الشهداء الشرفاء، دفاعاً عن الكرامة والعزة والشرف.

دوّن هذه الملاحم والبطولات، المؤرخون والكتاب والشعراء وتناقلتها الروايات المتواترة عبر الأجيال.

فلك الأناشيد.. أيها الوطن، ولك الأغنيات..

فلقد مرّ.. الإغريق والفينيقيون، والرومان والوندال، والبيزنطيون، وفرسان مالطا، والأسبان، والأتراك، والطليان، والإنجليز، والأمريكان، وتخلل حكم هؤلاء الكثير من الموجات البشرية التابعة، والشعوب الآخرى المحمولة والمصاحبة والموالية لهذه الحملات.

لكن هذا الشعب، قاتل وتغني بأمجاده، فاخر الشعوب الآخرى

ببطولاته الفذة، وغير المسبوقة في كثير من الأحيان..

فلنمجد الشهداء، ولنمجد الشعراء، الذين حفظوا لنا هذا الفخر وهذا المجد التليد.. كان الشعراء.. والشعراء دائماً في الطليعة في مقدمة الركب، محرضين على البطولة والعطاء والحرية..

فلك الأناشيد.. أيها الوطن، ولك القصائد والأغنيات. المرأة الليبية، كانت دائماً مع أخيها الرجل، أختاً وأماً وحبيبة تحث وتساهم وتحرض على الصمود والدفاع عن ثرى الوطن..

أين بالبو وميـاني وغرسيانى، وغيرهم من الطغاة والأباطرة والجبابرة رحلوا جميعهم مدحورين، مهزومين، من غير نعي ولا أسف.

لكننا ، ومع مطلع كل شمس، إطلالة يوم جديد، نمجد الشجعان الأبطال والشهداء.. ونذكرهم في الأماسي ونغدق عليهم الثناء والمحبة، وننثر بمحبة وعشق ورود القرنفل والياسمين على قبورهم، هؤلاء الأفذاذ الذين لم يطأطئوا الرؤوس ولم يحنوا الجباه نهزج بالأناشيد، ونهتف مرفوعي الرؤوس فليحيا الوطن.

مقامات

للشهداء، مكانة مرموقة، وحظوة لا تضاهي، شرف لا يداني عند الخالق وعباده، حيث الجنة مقام الشهداء ودارهم المخلدة. هذه المكانة لا يشابهها، ولا يوازيها، ولا يضاهيها أي شيء آخر..

هذا يرفع من قيمة الشهيد، يعزّز من شأنه، ويعليه إلى الدرجات والمقامات والمراتب الخاصة والشرفية.

كذلك هي الأوطان، والبلدان، الدول والأمصار، على اختلاف انتماءاتها وتوجهاتها السياسية والدينية والعرقية.. شيدت المقابر والأضرحة، نحتت التماثيل، أقامت النصب التذكارية للمناضلين والمكافحين والشهداء.. حيث تحولت إلى مزارات على مر وانفراط الدهور والأزمنة، للزعماء والقادة، والمقدمين على أقوامهم والنخبة الرسمية في الزيارات إلى كافة البلدان.

كما أطلقت أسماء الشهداء، على أبهى وأجمل وأهم الشوارع والميادين والساحات، القاعات، والضواحي والأحياء..

ووضعت الشواهد الرخامية المذهبة، عرفاناً بجودهم ومآثرهم كأمثلة تحتذي..

وألِفتْ ولحنت، أعـذب وأرق الأناشـيد والأغـاني في حقهـم، تأسياً بنضالاتهم، وتمجيداً لروحهم الوطنية..

كما مُنحوا أرقى وأعظم وأرفـع الأوسـمة والقلائـد والأنـواط والنياشـين، أبهـى الـشهائد والـدروع، ومُـدّحوا بأخلـد وأروع القصائد الشعرية، التي مجّدت وخلّدت شمائلهم وفضائل أعمالهـم التاريخية المجيدة..

فمن يمنح روحه، وهي أغلى ما يملك، وأعز ما يجود بـه المـرء، له أن يمُنح، أبهى وأزهـى وأغـلى وأرق وأعـذب وأجمـل وأنفـس القلائد والأوسمة والنياشين.

ويُخلد عبر الدهور، بطيب الكلام وأعذبـه، ويمجـد بالقـصائد والملاحم.

فللـشهداء أبهـى باقـات الـورود، وأجملهـا، و أكثرهـا أناقـة، مضمخة بالفل والقرنفل والأقحوان والنرجس والياسمين.

رافلـين في الفـردوس، بالـسندس والإسـتبرق، متكئـين عـلى حواف الأنهر الرقراقة.. جزاءً ومكرمة، لعطاءاتهم الخالدة.

مــآثر

إن طبيعة المجتمع العـربي في ليبيـا، الـذي غَلَـبَ عليـه الطـابع الريفي الزراعي والرعوي، واقتصاد الكفاف، أو الندرة، كان ذلك قبل الاستقرار في الحواضر، وتأسيس مدن الاستقرار..

في هذا المناخ الإنتاجي المحـدود، تمكنـت المـرأة مـن أن تلعـب أدواراً ريادية مميزة، جنباً إلى جنب مع أخيها الرجل.

حيث نهضت بدورها كـاملاً، في رعايـة أفـراد الأسرة، ومهـام البيت بل تعدته إلى الاهتمام بالحقـل، وتأديـة الكثـير مـن الأعـمال المكملة التي لا تنتهي.

ومـا إن وطـأت أقـدام المـستعمر، ثـرىّ هـذا الـوطن، حتـى نهـضت المـرأة أسـوة بالرجـل، مستبـسلة ومدافعـة، بروحهـا ودمهـا وعرقهـا ملتحمـة ومنـضوية في صـفوف المجاهـدين، وأدوارهم القتالية..

فلقد حفظت لنا، الذاكرة الشفهية الشعبية، أسماء المئات ولـربما الآلاف من النـساء اللائـي قـدمن أرواحهـن فـداء لتحريـر ثـرى الوطن، مقتديات بمآثر الماجدات العربيات المسلمات.

كما قامت عديد منهن بأدوار الاسـتطلاع، ومـداواة الجرحـى،

ونقل الشهداء والمصابين، من ساحات وميادين القتال وأشرفت الكثير منهن على عمليات الإمداد للمجاهدين بالسلاح والعتاد والطعام والماء، وإعداد المؤن وتجهيز القوافل.

وها هي المرأة اليوم، تقود الطائرة، وتعمل طبيبة، ومعلمة ومهندسة، ومديرة إدارية بكفاءة لا نظير لها.

والمأمول منها اليوم يتعدى أداء الوظائف، والخروج إلى العمل فقط، فهذا لم يعد هماً في حد ذاته، ولا غاية، فلقد تم تجاوزه، لكن المؤمل والمرجو منها، السعي الحثيث للنهوض بمسئولية لمساهمة في الانتقال بالمجتمع من التخلف إلى التقدم.. وتحمل أعباء فعلية وإيجابية من دون كلل أو ملل، في إنجاح الخطط التنموية والتصدي العلمي والعملي لمحاربة الظواهر السلبية المعرقلة والمؤدية إلى التقهقر، والعودة إلى الوراء.

إن إنجاح البرامج التنموية، وخطط التحديث والتطوير، لا يمكن لها أن تنجح إلا إذا ساهمت المرأة فيها إسهاماً فاعلاً وقوياً قصد إنجاحها وتحقيق مستهدفاتها.

ضفاف

إن مرحلة الانتقال، من التخلف، إلى التقدم، تتطلب بذل الجهد ومضاعفته، وحشد كل الطاقات البشرية والمادية.. وتجاوز العراقيل والموانع والحواجز، التي تقف أمام هذا التحول الكبير.

إن التحول والانتقال، من مجتمع الاستهلاك، والاعتماد في كل شيء على الآخر.. الآخر المنتج، سيؤخر تحقيق هذه المرحلة الهامة والحساسة، والتي بدورها تعرقل تحقيق الخطط التنموية.

وهذا لا يتأتى، إلا بتعاضد وتشابك كافة القطاعات والمؤسسات والهيئات العامة، والأهلية، ومؤسسات المجتمع المدني، هذه المؤسسات وكل حسب دوره، وتخصصه، وطاقته، يؤمل منها أن تبذل كل ما في وسعها وترسخ مفاهيم العمل والإنتاج، والإبداع والتأكيد على الدلالات الأخلاقية للعمل، وبذرها في أذهان البراعم الجديدة، انطلاقا من البيت، ومن ثم إلى كافة المؤسسات ذات العلاقة بالمجتمع.

إن التعليم، المنهجي المؤطر والمبرمج، لا يفرز إلا كوادر بيروقراطية تكنوقراطية فقط، رغم حاجة المجتمع إلى مثل هذه الشرائح.. إلا أن حاجته إلى الكفاءات والكوادر الفنية المؤهلة والمدربة والتي تمتلك "الروح المبدع" ، ولديها المبادرة والمبادأة وروح السبق.

هذه العناصر، هي طليعة المجتمع، قوته الخلاقة والمبدعة، النشطة والفاعلة، التي يعوّل عليها، والتي لا تأبه للتجريح والتشكيك ومحاولة تثبيط الهمم.. والتي تصم آذانها عن العويل .. الذي يصاحب سير القافلة.. المصممة على بلوغ أهدافها..

إن تجسير الهوة، وردم الفجوة، بين التخلف والتقدم، مرحلة دقيقة تتطلب رسم الخطط، ووضع الاستراتيجيات، وحشد الكوادر والفعاليات، وذوي الكفاءات والاختصاصيين، والتعويل على القوى الشابة الناهضة، بإعطائها الوقت اللازم للتدريب والتأهيل، وتحفيز المبدعين والمتألقين.. وردع المخالفين وشحذ هممهم وطاقاتهم، من أجل تجاوز هذه المرحلة، وبلوغ ضفاف أكثر تقدماً.

انتماء

الوفاء سمة الأوفياء، والوفاء للأوطان والتضحية دونها، ومن أجلها قيم حثت عليها الشرائع والأديان السماوية، القوانين والأعراف الوضعية، التى تعارف عليها البشر، واستلهموا منها دساتيرهم ومرجعياتهم الأخلاقية والتشريعية..

إن التضحية، وبذل النفس، من أجل الوطن، والتنادي، في لحظات العسر والضيق، ويوم النداء، ملمح من ملامح الوطنية، والارتقاء من مستوى الشعار والهتاف، إلى العطاء، والإخلاص المنزه عن كل مأرب وغاية، وتحويل الأقوال الشفهية، إلى أفعال..

إن تحويل القول إلى فعل، هو السمو والرفعة والتسامي، من حالات التجريد والتهويم بالأفكار، بإحالتها إلى وقائع تمشي على الأرض.

إن الانتماء وتوكيد الهوية، هما سمتان من أرقى الحالات الإنسانية، التي يتحول فيها وبها الإنسان من حالته المادية المتجسدة والمتحققة "المتعينة" إلى التحقق الأسمى "روحياً" ببذل النفس، المتمثلة في الذات العليا "الأنا الأعلى" فداءً للمثل العليا المحلقة.. إلى فعل مجسد، تنهض بالدوافع إلى متحققات عيانية "مرئية.."

إن التضحية بمعنى "الافتداء" بالنفس لهي أسمى درجات العطاء الإنساني المتجسدة والمتمثلة – في الاستشهاد، والشهادة في سبيل الحق والحرية ومن أجل العدل، والتصدي والوقوف بشموخ لدفع الظلم والطغيان والجبروت، والزيف والتجني والهيمنة والاستكبار.

إن السمو بالروح الإنسانية، والتسامي والتعالي، والتحليق عالياً والرقي بها من التمظهر المادي المحسوس، والنهوض بها إلى درجات من التمثل الإنساني، بالقديسين، والأنبياء والرسل، لهي أروع مثال، لحالات النضج والصفاء والسمو بأخلاق الإنسان من المرحلة الدونية، الهامشية، المتسطحة إلى المرحلة العليا، التي تبدو النفس من خلالها شفافة وطاهرة نبيلة ومتجردة..

إن وصول الإنسان إلى هذه المرحلة من العشق والزهد والتصوف ونكران الذات، لهي قمة من قمم التضحية، والإيثار..

فطوبى لمن قدّم روحه، فداءً وقرباناً لثرى الوطن..

غــزل

تغنى الشعراء بالوطن، وكتبوا القصائد، والملاحم المطولة.. غزلاً فيه، وتبياناً لمدى حبهم، شهادة منهم وعرفاناً بعشقهم، وهيامهم بحب الوطن.. ومنذ الأزل. كل الشعراء، القدامى، والمحدثين.. والمعاصرين ..كتبوا القصائد العمودية، المقفاة، العامية "المحكية" قصيدة التفعلية.. قصيدة النثر والنصوص المفتوحة المشرعة .. التي لا أبواب ولا نوافذ لها..

جميعهم شرَّعوا أبوابهم وشبابيكهم، وأزاحوا المزاليج والمغاليق أمام دفق أشعارهم، حينما غنوا وتغنوا بالوطن..

كل تغزل بطريقته، ورؤيته، وأسلوبه، ولغته.. و وعاؤه الشعري الذي اختاره..

وكل رأى الوطن فيمن يحب، ويعشق.. فمنهم من تغزل في حبيبته وأسقط قوله متمثلاً الوطن بتاريخه وجغرافيته، ومفاصله.. ومكوناته اللامرئية.. والتي تدب وتحبو في داخل كل منا..

وصارت حبيبته هي كل نساء الوطن..

ومنهم من صيّر الوطن بحراً، والبحر وطناً، بشاسعته وسحره وطلاسمه ومفاجاءته، تنوعه، زخمه، وامتداده الذي لا يحدُّ.

وآخرون.. تناولوا وجعلوا منها تيمات ومرتكزات أشعارهم.. تغنى الشعراء.. بالبحر والرمل.. النخل والجبل.. الشمس والقمر..

الحجر والشجر.. الريح والمطر.. الطير والزهر.. حباً وعشقاً.. هياماً وانتماء، بوحاً يقطر عذوبة وشفافية، رقة وإبداعاً وساهموا بفعالية، قل نظيرها، في خلق ذائقة شعرية كما لدى الكثيرين الذين ولدّت لديهم مشاعر فياضة، تجاه حب الوطن والانتماء إليه.

ناضل الشعراء بالكلمة الزهرة.. والكلمة المقاتلة، والتي كان لها ولا يزال الصدى اللائق، والأثر المحبب، والمشحون والمشحوذ بالعواطف النبيلة، و الألق الجميل..

فلك الأغنيات، ولك القصائد، أيها الوطن الرائع الجميل..

أسرار

لكل مدينة من مدننا سحرها الخاص، وألق تتميز به، مفتاح شفرتها السري الذي تحتفظ به في خزانتها الخاصة، سر لا تبوح به إلا لعشاقها ومريديها..

بعض المدن لا تبوح، ولا تُفض مظاريفها السرية، ولا تمنح خواتمها ومفاتيحها، لأي زائر، بل تخص بذلك أناساً نادرين، ومحدودين جداً.

كنت من بين الذين، ربما يكون حالفهم الحظ، ومنحوا الفأل الحسن عندما دخلت إلى حمى "مدينة غدامس".

غدامس، واحة غناء وارفة الظلال، ينثال عبر أوردتها وشرايينها دفق طازج وحميمى، وحار من الماء الزلال، الفرات والعذب يروى عطش نخيلها السامق، والباسق المشرئب، والمتجذر عميقاً بالأرض.

يروى ظمأ أهلها، الولهى بعشقها، المتغنين دوماً وعلى الملأ بحبهم لها، الزاهدين في غيرها.

غدامس متحف للتاريخ، سفر للتراث والحضارة، مرآة تعكس ما سطره أهلها عبر الحقب في الروايات والمخطوطات والقصص والحكايا كداموس، أو غداء الأمس – كما يحلو للمتحذلقين والنحاة

أن يسموها، أو كما وردت في إحدى الروايات أو الأساطير..

عريقة وأصيلة، موغلة في البعيد من القرون والحقب.. مكتبات تزخرُ بأنفس الكتب والمخطوطات .

خناجر وسيوف صقيلة، بسط و أكلمة ومفارش مزركشة بألوان فاقعة غامقة ومنمقة.

ملابس وأردية وأغطية، مقلمة ومحلاة بخيوط من الحرير والفضة ، أوان فخارية، نحاسيات ومذهبة، فضيات مشغولة بأيدي فنانين ونقاشين مهرة ومتحذلقين..

عطور وزيوت، مرايا ومكاحل، أحذية جلدية، ومناطق وأسوار وخواتم..

بيوت وأزقة، سلالم ومداخل وبوابات، سقوف وسطوح، نوافذ وظلال، مساقط، وشمسيات.. مطلاّت ومتكاءات..

مساجد وزوايا، محاضر وكتاتيب، شيوخ وعجائز، أطفال نساء وفتيات.. من لم يزرها، ستطارده الأشباح حتى يزورها.. أبواق ومزامير، طبول ودفوف، رقصات موحية وحميمية، تنبئ عن كينونة الإنسان والأشياء.

أمجاد موغلة، طقوس تراكمية، فوح وبوح، أغنيات تحيلك إلى التصوف والتأمل.. إلى العذوبة البهجة والانتشاء.

منـــارات

للبحر تجليات، كما للواحة أناشيد ومواويـل، للمـدن أهـازيج وموشحات وترانيم، هو البحـر ملحمـة شاسـعة المـدى، مبهجـة وعميقة، بعمق وامتداد أفقه العظيم، رحابـة وفـضاء عمـيم، هـو للبحارة عطاء وفير، ومرتع خصب للبوح والفضفضة..

تلاحم جـم، وتعاضد حميم.. تمازج، ووفاء.. يفـوق ويتعـدى إي وصف، أو توصيف..

دافـع أهلـه عنـه، أمـام غـزوات القراصـنة الـدخلاء.. دفاعـاً مستميتاً، ومنذ آلاف السنين.. محافظين على نقاوتـه وزرقـة لونـه، وعمدّوها بالدماء، وعطروها بالمهج والأرواح..

شاطئ رحب، وعصي عـلى الطـامعين، مُطعـمّ بالجـثـث، التـي تتلألأ فوق ضفافه كالنجوم البازغة المبرقة..

موانئ، مرافئ، منارات، ثريات ونجوم تبهج الناظرين.. مـدن وقرى، واحات وأرياف ونجوع، دفعت بأبنائها، كي تنعم بالحريـة والرفاه والأبهة..

يفيض هذا البحر بالخير الوافر، والعطاء العميم، ويطعـم أهلـه ومحبيه بالزاخر من كرمه الرائع والسخي.

شـــواطئ ومنتجـــات، قـــرى وفنـــادق، مـــصائف ومخـــيمات، تفـــتح ذراعيهـــا للمـــصطافين.. رمـــال ناعمـــة، وميـــاه دافئـــة، ونوارس تزين الفضاء..

نخيل وأشجار وارفة الظلال، أعشاب وزهور، تضوع بـروائح وعطور مفعمة بالشذى المعطر بـشميم الفـل والياسـمين والـزعتر البلدي للبحر أغنية، كما للواحة أناشيد ومواويل، للمدن أهـازيج وموشحات وتراتيل..

هو البحـر متكـأ، وحـضن دفيء، مواسـم للغبطـة والانـشراح البهيج ، البحر معزوفة لا تمـل، بـوح الحـزاني، ترنيمـة للعاشـقين الذين يجوبون المدى، مد وجزر، فضاء يبوح بـإسراره منـارة تـدل الحيارى والتائهين، مرشد للغرباء والبائسين..

في كـل منعطـف منـه سـارية وعلـم، ذكريـات، مواسـم للفخـر والنـصر، ومرافـئ للحلـم بـالآتي، وبأعطيـات كالأسـاطير تبـدأ ولا تنتهي.

طموحات

إن المواطنة الحقة، والانتماء الواعي.. لا يقاس إلا بمدى العطاء ، هذا العطاء ليس له حدود أو مقاييس مباشرة، أو نقطة يمكن الوصول إليها.. أو حدّ يمكن الاكتفاء به، بل هو مرهون ومشروط بمدى إمكانات وقدرات كل إنسان..

إن المواطنة، ليست هوية، نتحصل عليها، أو إثبات للجنسية التي ننتمي إليها، بل هو خيار داخلي، ينمو بالتربية المستدامة المتراكمة والمستمرة..

إن إثبات الهوية، والكينونة الواعية المتحققة، والانتماء الناضج ينمو كالنسغ، الذي يجري وينسرب مع الشرايين والأوردة والخلايا.. عطاء ليس له محددات أو أطر أو غايات، وبلا حدود فالانتماء للوطن، وللأرض، هو خيار لا يقاس، بمدى الانتفاع وتحقيق الحاجات، والمتطلبات، الذاتية، الأنانية، بل هو خيار موضوعي، ينمو، ويترعرع، مع المؤثرات، والسياقات الاجتماعية، تبدأ هذه المؤثرات.. من البيت أولاً ثم تتبلور وتتأكد، وتأخذ شكلها الجوهري، داخل البني الاجتماعية المختلفة.. كمؤسسات التعليم والتأهيل، والهيئات والكيانات الطوعية والترفيهية..

والمواطنة.. هوية، وانتماء، عطاء، وإبداع، نكران للذات، إيثار

للآخرين، وتسخير الوقت "الزمن" فيما ينفع الناس، والارتقاء بمستوى الأداء الفردي والجمعي، والمساهمة البناءة، والفاعلة، للارتقاء بسقف الطموحات والغايات الفردية "الذاتية" والجماعية.. وليست منحة ولا أعطية من أحد.

إن الذين يقيسون مدى مواطنتهم، بمدى ما يتحصلون عليه من نفع مادي أو معنوي.. لا يمكن إدراجهم ضمن الشريحة التي نكرِّس لها هذا الحديث، أو يندرجون ضمن إطارها..

لكن الروح المبدع، أو النفس المبدعة، والمتألقة، هي التي تطمح لتحقيق انتمائها.. تأكيد هويتها.. وتعزيز إنسانيتها فوق الأرض، وتحت الشمس.

وشائج

إن الإخلاص والتفاني، والبذل والعطاء المنزّه عن كل مأرب وغاية وبعيداً عن الأهواء الذاتية.. يضفى على المرء مهابة، وتقديراً لا يساويه ولا يضاهيه أي شيء..

هذا التفاني، والتماهي المكرّس بالإبداع الذاتي، الذي ينأى بصاحبه عن الأضواء، والأغراض الشوفينية، والاستعراضات النرجسية، والطامحة لتحقيق منافع شخصية، يفضي بصاحبه إلى حب وعشق عمله، أو حرفته، مهنته، أو هوايته وميوله المكلف بأدائها، أو الراغب والطامح في ممارستها ومزاولتها..

هذا الإنسان، الذي يتعامل ويؤدي هذه الوظائف، أو الأعمال.. يُحيل إلى خلق ونمو روابط، ووشائج، وعلائق وثيقة بين المرء وهذه الحرفة أو الهواية..

هذه الوشائج المتعينة والمتحققة، تصب وتمكِّن من التقدم والرقي النمو التسامي، وتقليص المسافة أو المسافات الموغلة في حب الذات والأنانية، وتحقير العمل اليدوي أو الوظيفي..

والتقدم والتطور، لا يتأتى ولا يتحقق، إلا بالصدق والتفاني الخلاّق والمبدع..

والوطن لا يحقق.. أياً من غاياته وطموحاته.. إلا بنجاح وتقدّم أبنائه وبناته.. رجاله ونسائه المخلصين.. في مدارسهم وجامعاتهم معاهدهم، مصانعهم، مزارعهم، ومراكزهم البحثية.. ومراكز التأهيل، والتدريب.. وتحليهم بالإبداع بحيث يشار إليهم بالبنان- كما يقولون..

إن الخلق والابتكار، يفضي إلى التجلي والإبداع، وهو مرتبة سامية تؤدي إلى نكران الذات، التي من ثم تساعد المرء للوصول وتحقيق مرحلة التميز، والتألق.

ولربما يتعرض المتألقون والمتميزون، إلى التهميش والإقصاء من بعض فئات المجتمع، التي تنظر إليهم بازدراء، وتنكر عليهم هذه الحقوق، والميزات التي ليست في مكنتهم تحقيقها أو الوصول إليها.. لأنها عسيرة التحقيق، ودونها صعاب جمة..

وإمكانية التميز، والتألق، والإبداع متاح للجميع، لكنه ليس بمقدور الجميع..

فالتميز والإبداع، والنجاح.. دونه الكثير من الصبر والألم والدموع..

إبداعات

يعتقد بعض من الناس أن حبّ الوطن، يكمن في الشعارات والتصفيق وإعلاء الصوت بالهتاف، والمخاتلة والمزايدة للوصول إلى غاياته ومآربه بشتى الطرق والوسائل والذرائع..

لكن حب الوطن أسمى، وأكثر قدسية، من هذه الظواهر والطرائق والمسوغات الآنية والسطحية الساذجة، والتي لا تنطلي على أحد، فحب الوطن لا يتأكد إلا بالإخلاص، والتفاني، في أداء الأعمال المتوجبة والطوعية، والتي لا يمكن القيام بها، وإنجازها إلا بالمزيد من الصبر والتفاني والإخلاص، والجدية، بل والإبداع في إتقانها.

ولو أدى كل منا واجباته ومسئولياته، وبواعزٍ من ضميره ودون توجيه من أحد، وبعيداً عن الشعاراتية المخاتلة، والمشبعة بالزيف والمداهنة، والمصحوبة بالنفاق والتبجح، خاصة أمام الآخرين.. لساد الرضى الذاتي، عن النفس والآخرين، ولبرأت الأنفس من الأمراض الكثيرة التي تفشت، وما انفكت تتضخم وتبرعم يوماً إثر يوم، كأنها الأورام السرطانية، التي لا شفاء منها من هنا تصبح المزاوجة بين الحق والواجب حاجة ملحَّة وجوهرية بحيث لا يتأتي المطالبة بالحقوق، دون الالتزام بأداء الواجبات والتي تتطلب التزاماً – عقدياً – بين الإنسان ووطنه.

ومن هنا يصبح التلكؤ والمماطلة، والتباطؤ في أداء الواجبات جريمة لا تغتفر.. بسبب ما يترتب عليها من إخفاقات وانتكاسات وتقهقرات.. تؤدى من ثم إلى خلل لا يمكن التنبؤ بأضراره المادية والمعنوية.. على الأفراد داخل المجتمع، وعلى المجتمع بمؤسساته وهيئاته وبنياته المؤسساتية المختلفة..

وفي حالة إنجاز هذا العقد بين المواطن ومؤسسات المجتمع الأخرى..

يصير من اليسر والسهولة، ضمان تحقيق وتلبية الحاجات، وتنفيذ المشاريع، إنجاح الخطط والبرامج، والانتقال بالمجتمع من مراحل التقهقر والتخلف.. إلى مراحل أكثر نجاحاً وتقدماً، التي نحن في أمسِّ الحاجة إلى إنجازها، والوصول إليها..

الملكة

ثمة مواسم واحدة ومشتركة، تجمع بين كافة الواحات المتناثرة في الصحراء المنبثة كالنجوم واللآلئ في سماء الله الواسعة الرحبة، خطر لي ذلك عندما شرعتُ في جمع هذه المفردات التي تكوّن هذا النسيج وهذا الرباط بين مجمل هذا الواحات المتربعة على عرش الصحراء.

عرائس سمراء ضمختها الشمس بخيوطها المذهبة، واكسبتها بوهجها ذلك اللون المائل للبرونز، أو كعصير النخل الراشح والمنتوح من نسغ الجذور والأعناق، الشديد القتامة الضارب في اسمراره، المتحول إلى اللون البني ، الشراب اللائق بأهله.

شمس ساطعة، حرّاقة ومبهجة، واضحة ومشرقة، حد الاستفزاز والمكاشفة، بحيث تصل إلى ما تريد بيسر ومرونة، لا تمنعها في ذلك غيوم، ولا ضباب، سماء معلنة ومشرعة تكاد تطأها الأعين، تلمسها الأيدي بلا حواجز ولا حراس.

كما أن النخل، هذا الحارس المتمترس والمتغطرس الواثق بنفسه، الشامخ والمتعالي، الذي أناط بنفسه مسئولية حماية مداخل وبوابات الواحات من الطامعين والمتسللين علو وآنفة، وثقة لا تضاهي، عطاء بلا حدود، وجود بلا منةٍ ولا ابتذال.

ظلال وارفة، مديدة وشاسعة، تتفيأها الأنفس والأيـدي بعـد مشقة الترحال والانتقال.

ظل ظليل، مشبع بأصالة ومودة محمودة، وبأيدٍ ممدودة، وصفاء أنفس ضاربة في البعيد البعيد.

ماء سلسبيل زلال، عذب سائغ شرابه، يـروى العطـش، يـدل الـذاهبين والتـائهين في الفيـافي والقفـار، إلى مـواطن الطمأنينـة والسكينة والدهشة الأولي..

دهشة الطين، وشـهقة الرمـل، الطـين حيـث البـوح، والفـرح والنشأة الأولى، الحنـين إلى الجـذور، العـودة إلى الينـابيع، الرمـل، الفرادة والتشيؤ والانشطار والتوحد.

الرمل حيث الامتداد، المفازة البكـر، الانـصهار والانجـذاب، البساطة اللاحدود، الانفساح.. والامتداد اللامنتاهي.

الصمت والبوح بكل شيء..

الواحة المفردة، الواحة الجمع، بجمالياتها المؤسسة والمتخلقة من عشقها لأناسها، وعشق مواطنيها لها، حب متبادل ووله مُضنٍ.

تصمت حينما يبوح الآخـرين، ويعلنـون عـن أشـيائهم، تبـوح عندما يهيمن سلطان وجبروت الصمت على الجميع.

تأسر عشاقها بمفاتنها ومباهجها وأعطياتها المخبأة، تلـك التـي تضوع وتخلـب الألبـاب بفنونهـا المنسابة مـن أفـواه عاشـقيها في أعراسـها فتنة لا تحـد، وبـوح لا مثيل له، ولـه لا نظـير ولا شـبيه مثلـه.. هـون.. عـروس الواحـات، محفوفـة بـالرموش، مجلـوة ومحروسة بنبض قلوبنا.

جمـوع

من تخوم اليمن وظفار، حتى مآذن وقباب فاس ومكناس، مروراً بمزارع شبعا، أزقة القدس، شوارع رام الله، وحتى أصغر قرية في جنوب السودان.

كل هذه المدن القرى البلدات، والواحات.. وغيرها من الوديان والأرياف والصحاري، الرافلة والطافحة بالغنى والترف أو العوز والفاقة.. حيث قرى الصفيح والطوب وأعواد القصب والخيزران.

فمن أرياف وحواضر النيل بمصر، إلى أكواخ الأهواز بالعراق، وحتى حواف دير الزور بسوريا العراقة والأصالة.. الضاربة بجذورها في الأعماق.

إلى الزرقاء والسويداء/ من أعالي الشوف، وجبل الشيخ، إلى تطوان والبليدة وقسنطينة بالجزائر.

ومن أغادير والمكلا وعسير وأبها وحتى سبها في جنوب ليبيا.

كل هذه الحواضر والمدن والأرياف، تضج وتغلي.. في مواجهة، هذا الجبروت المتغطرس، والاستكبار المستنفر والمستفز، بأساطيله وطائراته، غواصاته، وصواريخه الموجهة، المحمولة على أسطح

البوارج، وحاملات الطائرات.

تزمجر الجموع.. وتعلن التحدي، غضب عارم، ومشاعر فياضة شعور بالأسى يعتصر هذه الجماهير.. تجاه هذا التحدي لمشاعرها.

فما زالت القدس، أسيرة، ومغتصبة.. تئن وتتألم، تحن وتحلم هذه الجماهير بالغد الآتي.. الذي تتحرر فيه القدس.

من الماء إلى الماء/ ومن الرمل إلى الرمل.. ومن مدينة إلى أخرى ومن قرية إلى قرية..

هذا الوطن، منبع الحضارات، وإشعاع الرسالات، مولد الفن والأدب الرفيع الخالد..

ولد فيه، محمد المبشر العظيم، وعمر بن الخطاب، هارون الرشيد وصلاح الدين الأيوبي، وجمال عبد الناصر.

ستمر هذه المرحلة وتعبر، كسابقاتها، محن كثيرة ومآسٍ مرت بهذه الأمة، وهذا الوطن، لكنها اجتازتها.. بأنفة وثقة وفخر واقتدار.

استكبار

هولاكو، دراكولا، أو الديناصور، فزاعة العصر، وشرطي العالم، كل هذه المسميات، أو التسميات، أطلقت على مسمى واحد هو "أمريكا" هذا الكائن الهمجي، المتسلح بالذرة، وحتى أسنانه.. المتسربل بالتكنولوجيا الحديثة والمدمرة..

هذا الغول الضخم، النهم، والشرس في آن واحد، المدّعى زيفاً وكذباً.. أنه المحافظ، والراعي لحقوق الإنسان والحريات الفردية والعامة- بالعالم أجمع.

هذه الآلة الجهنمية، هي مصدر الشر والرعب، والإرهاب العالمي تتذرع أمريكا، بهذا الحشد الهائل، والمخيف، من الصواريخ والطائرات والقنابل الذرية والجرثومية والبيولوجية والانشطارية وكافة الأسلحة المدمرة، التي لا نعرف، ولا نريد أن نعرف مسمياتها، والتي أول من استعملها ضد الإنسانية في هيروشيما ونجازاكي..

أمريكا هي الداعم الرئيس والقوي.. للعدو المتسلط والمتجبر والمحتل النازي الصهيوني لفلسطين المغتصبة..

..هذا الغول المتكبر والمتجبر، قاتل الأطفال، ومدمر المنازل

ومدنس المساجد والكنائس، والمدّعي زيفاً، أنه المدافع والمنافح عن حقوق الإنسان، أكبر ديمقراطيات العالم، وحارسها الأمين.

أي منطق مغلوط، ومقلوب هذا!

فهاهي كل شعوب العالم، من أقصاه إلى أقصاه، من كوريا وماليزيا اندونيسيا، وأستراليا، إلى قلب أوربا - حيث لندن وباريس وبرلين، إلى مدريد وأثينا.. إلى أقاصي السلفادور والتشيلي والأوروجواي والباراجواي، ومن طوكيو إلى بكين، ومن إسلام أباد إلى نيودلهي، وحتى داخل المدن الأمريكية نفسها، تدين، وترفض، وتقاوم هذا الظلم المدفوع بعنصرية حاقدة جميع مدن وقرى العالم تتظاهر، تضج تغلي، مدافعة عن حق الإنسانية في التصدي لروما العصر الحديث..

على الدوام، كان هناك الجبابرة والطغاة والأباطرة.

وعلى الدوام أيضاً، كانت هناك الشعوب الحية التي كافحت وناضلت وقاومت الظلم والاستكبار والاحتلال..

كان هناك دائماً.. هولاكو، وقيصر، لويس التاسع.

وكان هناك أيضاً.. صلاح الدين، وهنيبال، والظاهر بيبرس.

أحـــلام

إن تنمية المجتمع، وخلق حالة قصوى، مثالية ونموذجية، من رقي الخدمات، والوعي المعرفي والثقافي، بحيث يقوم المثقفون والفعاليات المتعلمة، وكوادر التكنوقراط، والشرائح الواعية، بدور هام واستثنائي، لتحقيق هذه النقلة، والوصول إلى هذه المرحلة التنموية..

إن هذا الهدف، الطموح، وهو غاية كل المجتمعات، ليس إلا مرحلة متقدمة من البناء المادي "الحضاري" والنهوض بالمستوى الخلقي والروحي-الذهني، والمعرفي، لكل شرائح وفئات المجتمع.

من خلال هذا السعي الدءوب والدائم، للرقي بالخدمات التي تقدم للأفراد، وتحسين مستوى الأداء العام، ومحاربة كافة الظواهر والإفرازات السلبية والمعيقة.. كي تنمو وتتجذر منظومة العلاقات بحيث تحقق أقصى حالات، الإنتاج والإشباع، للوصول إلى أعلى مراتب الرضى والسعادة.

إن سعى المجتمع، للوصول إلى حالة من الرضى والرفاه والسعادة لمواطنيه، يُعَدُّ هدفاً طموحاً، ومطلباً مثالياً، بالإمكان تحقيقه والوصول إليه.. من خلال الوعي بجسامة الهدف وأهمية

الوصول إليه، وضرورة تحقيقه..

إن انصهار كافة أفراد المجتمع.. في هذا الإطار.. هذا الفضاء هذه اللوحة النموذجية، يساهم ويؤدى.. بهم ومن خلالهم إلى حالة الإشباع للحاجات ومن ثم إلى السعادة..

هذه الطموحات، والأحلام المشروعة المباحة.. والحتمية لا تحقق.. وتصل ذروتها.. وتؤتي أكلها، إلا إذا ساهمت كافة هياكل ومؤسسات وهيئات المجتمع التعليمية والتربوية والثقافية والشبابية "الأهلية والطوعية" في الدفع بشرائح وقطاعات الشباب، لتحقيق أقصى حالات الإنتاج وإشباع الحاجات المادية والروحية..

إن تلازم الإشباع، المادي والمعنوي هام بالضرورة، ولا يتم التطور أو التقدم أو التحديث، إلا بهما.

شمـوس

المهـارة، والدقـة، التفـاني والإبـداع، الإخـلاص والاجتهـاد، الحذق والتجويد، والمران..

التأمل والتعمق، إسباغ أو منح، مساحة أو براح مـن التـصوف والعشق..

الصفاء، والخلـو بـالنفس، وبعيـداً عـن الـصخب والتـشويش الذهني والتقليد والانسلاخ، والمسخ والنقل الحرفي للأشياء.

الإبداع، الصياغة المثلي، والتجويد الأسمى، وإعطـاء الأشـياء، الشكل والطعم واللون والرائحة..

التألق.. منح الأشياء، الروح والألق.. وبعـث الـدفء والحركـة والنسغ الداخلي.. روحاً شفافة، وألقاً يضفي على الذات روحـاً مـن البهاء، والانشراح، يسمو بهـا.. إلى مـصاف ومراتـب سـامية.. مـن الشفافية والأبهة.. والاكتمال والعبقرية ، التشبع والارتواء.

فكلنا مطالبون، بأن نبدع ونتألق، ونبذل أقصى الجهد فيما نعمل للوصول به، إلى أبهى درجات الكمال والسمو..

التألق والإبداع، هذه الأنهر المتدفقة، الراقية والسامية، في مكنـة كل واحد منا.. في قلب وعقل وروح وضمير الجميع.. لو منحناها

الوقت اللازم، والكافي. لإبراز هذه المزايا والأعطيات الإلهية الكامنة، والساكنة في دواخلنا..

هذه الأنهر والفروع الدقيقة والصغيرة.. ولربما المجهرية..

لو أبدع كل منا فيما اختار أو أوكل إليه.. من مهن وحرف وخيارات لصارت وتحولت إلى بحار وبحيرات ومحيطات.. من الألق والإبداع هذه النجوم والنيازك والكويكبات.. تحولت وصارت شموساً وأقماراً ومجرات .. هذه الروح المبدع.. الكامنة والهامدة في كل منا.. جذوة من النار وبراكين من العطاء، واللهب الإلهي الفاعل والخلاق.

جموع مبدعة، وأرواح متألقة.. تتغنى وتهزج بأعذب المواويل والملاحم، لوطن مبدع، منتج وحر..

مسارب ومدقات، أنهر وبحيرات، شموس ونجوم.. أصول وفروع.. من الإبداع والتجلي.. يخلق وطناً له من الجاذبية والسحر، يأخذ بالألباب.

أندلسيات

كانت ليبيا، وإلى زمن قريب، جسراً لحركة المسافرين والفاتحين.. الحجاج .. والتجار .. والرحالة .. والمستكشفين .. والعلماء .. والأدباء والجغرافيين والمؤرخين العرب والأجانب.

وكذلك الجيوش في زحفها من المشرق إلى المغرب والأندلس وبالعكس كما شكلت حركة القوافل التجارية والعلمية وما رافقها، من حراك اقتصادي وعلمي وثقافي، بصمات وأثار في المجالات كافة ، تناغم واختلاف، تباين وائتلاف..

من هذا كله، تشكّلت الخارطة الليبية، ومن هذا المزيج الرائع تكوّن هذا الشعب، هجرات وهجرات.. قبائل وعشائر بطون وأسر وأفخاذ، هلاليون وسلميون، عرب وأعراب، عاربة ومستعربة بادية وحضر، وافدون ومقيمون..

مساحة هي للجميع، وطن هو للعاملين الفاعلين المنتجين.. يكبر بالعطاء..

كلّ جاء بعاداته وفنونه وأنغامه وموسيقاه، انصهرت جميعها لتشكّل خارطة ووطناً..

فضاء يتسع للجميع.

عائدون من الأندلس، من غرناطة وأشبيلية وطليطلة وقرطبة من العرب البائدة والعاربة والمستعربة، في رحلتهم الأليمة..

استوطن منهم الكثير بهذا الثغر.. مانحين إياه زخماً خصباً من الوعي الثقافي والفني.. فنشروا الفن الأندلسي بموسيقاه الخصبة الثرية.. التي وصلت شأواً عالياً ومكانة رفيعة، متأثرة بثقافة الأندلس وموسيقاه.. الممزوجة بقوة وفخامة ورقة ورهافة الشعر العربي، وثراء مفرداته، وَلَّد هذا الجو، أو الطقس الراقي، فناً أندلسياً مرققاً عُرف بالموشحات أو المألوف..

تغنّى الليبيون بهذا الفن، ولا يزالون يطربون لسماعه، بل يعشقونه ، ويتيهون ولهاً به ..

هذا الفن الذي بعث فيه الحياة من جديد، الفنان والأستاذ المبدع حسن عريبى وآخرون معه..

هذا المبدع الذي أضاف وجوّد وحسّن، من جمالية و فرادة هذا اللون الفني البديع.

صاغ الفنان المتألق حسن عريبي، موسيقاه، مسافراً ومحلقاً على جناح الكلام العذب المصفي، أبهى وأنقي وأعذب الأنغام والإلحان.

مواســم

رياح وزوابـع، فيـضانات وأعاصـير هوجـاء تقتلـع الأخـضر واليابس ، زلازل وبراكين، حرائق مدمرة لا تبقى ولا تـذر.. هـذا ما نراه كل يوم على الشاشات، وما نقرأه في الـصحف والمجـلات، وما نسمعه عبر وكالات الأنباء كل مطلع شمس.

أمطـار عنيفـة، رعـود وصـواعق محملـة ومـصحوبة بالـشهب والنيازك الحارقة.. تسقط لتحرق الغابـات في الكثـير مـن أصـقاع الأرض.. تهشم وتقتلع ما يتأتى أمامها.

زلازل مهلكة تطيح وتجرف وتنهـي أعـلى وأضـخم البنايـات، مسوية إياهـا بـالأرض، لتلـتهم وتحـصد في طريقهـا الآلاف مـن البشر، والشجر والحجر.. هي قدرة الخالق، القادر على كل شيء.

هذا القادر، أعطى ووهب، ومنح هذا الوطن.. مناخـاً متميـزاً شمساً ساطعة رائعة ومـشرقة معظـم أيـام الـسنة.. ومطـراً رقيقـاً ناعماً، غيثاً نافعاً للأرض، للبـشر وللأنعـام.. تـتحلى وتتبـاهي بـه الأرض، عطاءً بهياً يسر الناظرين..

أعطى هذا الصانع، الواهب، لهذا الوطن بحـراً شاسـعاً مديـداً زاخراً بالمنح والأعطيـات الـوفيرة التـي لا تنـضب، وأزجـى مـن

خلاله للعباد طرقاً للكسب لا تحد، يقصده أهله فيفيض بالسخاء العميم دون منةٍ.

جود وكرم، عطاء وسخاء لا ينتهي.

كما منح هذا الكريم، الوافر الجود، أرضاً رخاءً، تجود بألذ وأعذب وأشهى الفواكه والخضر.. مواسم لا تنقطع، فصول تتلوها فصول..

خوف وهلع، ينتاب البشر من غضب الإله وغضب الطبيعة.. أمطار جارفة.. صواعق حارقة.. وبراكين فوارة تلقي بحممها النارية المفزعة.. تندلق من فوهاتها صوب الأرياف وباتجاه المدن تلتهم في رحلة جهنمية الأخضر واليابس.. الحجر والشجر هذا الوطن تحرسه أعين الإله التي لا تنام..

متنعماً بمناخ بديع، يمشي بالتوسط في كل شيء.

شمس ساطعة، ومطر منهمر، رزق وافر، وخير عميم.

تضحيات

توالت وتعاقبت، الموجات البشرية على هذا الوطن، ومنذ آلاف السنين أقوام وجنسيات، أخلاط متباينة، أعراق وأديان، بلغاتٍ وحضارات وثقافات هجينة ومركبة.

جاءوا طامعين، فعادوا خائبين مندحرين.

قدموا، محملين بأحلام البقاء والاستقرار، مندفعين بجبروت القوة والجشع، منقادين برؤى وأساطير الحكماء والعرافين.

مدججين بالسيوف والنبال، والرماح وكرات النار، المدفوعة بالمنجنيق هذا في بعض المراحل.

أما في المراحل التالية ، فالبارود مقذوف بالمدافع والدبابات.. وفي الحملات المتأخرة، فبطائرات الشبح اللامنظورة، والصواريخ الموجهة من البعيد البعيد!

فأين هم الآن،وأين نحن،وكيف هو حال الوطن!

جاءوا يقودهم زعماء وقراصنة، يملؤهم الطموح بالغني، حالمين بالرفاه نازعين نحو التسلط وسفك الدماء،مدفوعين بحب السيطرة والتملك وأحياناً كثيرة، مدموغين بهوسٍ لا يبارى بالحقد الأسود المُدمّر ، وفي بعض المرات كانوا تحت إمرة زعماء العصابات

وقطاع الطرق وقراصنة البحر المتوحشين.

فأين هم الآن، وأين نحن، وكيف هو مزاج الوطن!

فلقد تعرض هذا الوطن للغزو، والاحتلال، للنهب، والدمار، وواجه أهله أصنافاً بشعة من الحكام والزعامات، الشيء الذي لا يحصى لكنهم، وعبر كل هذه الحقب والقرون، وهذا الزمن الموغل، ومع كل تنوع هذه الشعوب والقوميات.. لم يستقبلوا يوماً أعداءهم كغيرهم، من بعض الشعوب الآخرى، بالورود والرياحين والأعلام البيضاء، لكنهم وعلى العكس من ذلك تماماً، تصدوا دوماً ومنذ الأزل لكل هذه الموجات والحملات والغزوات، المتتالية والمتعاقبة بالقوة، والنضال المرير..

استبسلوا، ووقفوا مدافعين دائماً عن ثرى هذا الوطن بدمائهم وأرواحهم..

فأين هم الآن، وأين نحن.. وكيف هو شأن الوطن.

ريـــادة

انطلق أجدادنا، ومنذ آلاف السنين، صوب الاتجاهات الأربع، شمالاً وجنوباً/ شرقاً وغرباً..

لم تكن تحدهم حدود، وغير أبهين ولا معنيين، بما يصنعه غيرهم من حواجز وموانع، بل ظلوا منطلقين أحراراً.. وعبر كل الفضاءات، مدافعين عن حريتهم، وحرية جيرانهم زمناً طويلاً.. متحدّين الجبابرة والطغاة والقراصنة.

انطلق أجدادنا في الفضاء الأفريقي.. وخاصة عبر دول الجوار تجاراً وعلماء، ناشرين لراية الإسلام، وللغة العربية ومدافعين عن الحرية، في كل مفاصل القارة.. غاباتها وصحاريها وواحاتها العامرة.

باحثين عن الكلأ، مواطن الرزق، حيثما حلوا، ووطأت أقدامهم، وناخت رواحلهم، كانوا تواقين إلى الحرية، مدافعين ومنافحين عنها، في كل بقعة، وفي أي مستقر.

أفريقيا قارة الخير العميم، العطاء الوفير، منجم العطاءات التي لا تحد..

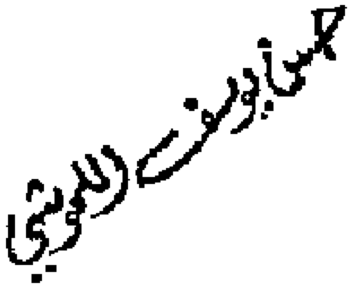
قارتنا السمراء، بشمسها الدافئة، مياهها الدافقة، وبحيراتها

الرائقة.. غاباتها الكثيفة.. وإنسانها القادر على البذل والعطاء، على الخلق والتألق والإبداع..

فها هو ينطلق المارد من جديد، بحيوية، وروح متمردة واثقة ها هو العملاق ينهض من سباته، مستبشراً بغده واثقاً من طموحاته ومستقبله، رافضاً الحماية والرعاية والوصايا التي مافتأ الآخرون ترديدها..

أجدادنا، كانوا سباقين، وكانت لهم الريادة في معرفة مجاهل القارة وأدغالها.. وها نحن اليوم نؤكد على هذا السبق. ونعيد إحياءه واستنهاضه..

فلقارتنا المجد والخلود والعطاء.



أعطيات

ينساب صوت المغني القروي، العاشق دوماً، المتباهي بخيلاء بعشقه لهذا الوطن، الشاسع والمعطاء، المتمدد على البحر، الزاخر بأعطياته والمستند على جباله، الشامخة والمتجذرة في أعماق الأرض.

هذا المغني المبدع، يؤلف ترنيمة للعشق الصوفي الموسق الطري الطازج والنقي، يجيء بصوته الرخيم والشجي بموسيقاه التي تقطر عذوبة، منغماً تماوج رقص الغلال،مع هفهفة جديلة المعشوقة تلك المنسابة بوله كالنخلة... لوحة يقف أمامها مشدوهاً أبدع النحاتين، وأرق الرسامين.

هذا المغني الأصيل، الذي يقتطع مفرداته، من منجمٍ أصيل المعدن رائع السبك.

هذا الوطن الرائع، المتنوع، المتباين والمتناغم في آن، حيث الجبال المتطاولة الرائعة، الأخضر في شرق البلاد، ونفوسة في غربها والأكاكوس الشامخة في جنوب الجنوب.

هذا الوطن المطرز بالأنهار والعيون والينابيع، المنمق بالأشجار والشجيرات والأعشاب والزهور، الطارح لأشهر وألذ الثمار

الطرية العذبة والرائعة.

هذا الوطن الشاسع المتكيء على بحر الرمال العظيم، وهذه الصحراء المترامية الأنحاء، بصفرتها الذهبية، وشجيراتها الأسطورية النادرة المثال،إلى قراها وواحاتها المتناثرة كحبات العقد أو المسبحة في هذا العراء الفسيح.

رائعة تلك البلدان التي زرناها، وجميلة تلك التي لم نزرها بعد..

لكن روعتها وبهائها لم يصل إلى الحد الذي يسكن فيه القلب، وتتربع فيه بالعينين، شمسنا في كبد السماء، تلك الصافية كصفاء نفوس أهلها، تلك التي تعلن كل صباح في محبة وألفة عن بدء تنفس النهار في تحبب رائق، يوحّد بين الإنسان والطبيعة في تمازج غريب، يبشر بديمومة الحياة وسرمدتيها.

هذه المنظومة المؤلفة والمؤسسة من تراكم التاريخ والجغرافيا.. وعناء الأهل، نضالهم المجيد، من أجل أن تظل عيون الحبيبة مبهجة ومشرقة.

قناديل

من خلال التجربة النضالية الرائعة، لأبناء هذا الوطن في الدفاع عن أرضهم.. تراكم وتكوّن مخزون نضالي مشرف وعظيم تغترف منه الأجيال، وتأخذ منه العبر والدروس المستفادة والمثل العليا.. التي لا تتأتى إلا عبر الملاحم الكبرى، والعذابات الجسيمة، التي لم تتحقق إلا عبر رحلة شاقة وجبلية، وبطولية فذة من خلال هذه المعاناة القاسية، والرائعة في آن، ناضل الشعب الليبي، مع إخوته في العروبة، نضالاً مشرفاً من أجل تحقيق حلم الحرية والوحدة..

فمعارك أيسين وساقية سيدي يوسف، ومعارك الصحراء الغربية التي ساهم الليبيون مع إخوتهم في الجزائر وتونس ومصر.. ومع أشقائهم في فلسطين عام 1948 . أثبتت أن هذا الشعب، وفيّ ومناضل و وحدوي، ورسخت في أذهان الأجيال الجديدة، معاني سامية، وأكدت على وحدة الدم والمصير وبالرغم من بعد المسافات الشاسعة، التي تفصلنا عن أرض فلسطين وصعوبة المواصلات وندرتها في نهاية الأربعينات 1948.

تمكن آلاف الليبيين، من فك هذا الأسر، متطوعين، ومنحازين إلى إخوتهم في فلسطين.. هرعوا من قراهم وواحاتهم ومدنهم وأريافهم محملين بإرث نضالي باهر، يملؤهم إيمان قوي بحقهم في

العيش مشعلين قناديل الحرية والنضال، ورد الظلم عن بيت المقدس ، آلاف من الشباب، وفي تلك السنوات الصعبة القاسية، وعلى كافة الأصعدة والجبهات..

كل هذه الظروف لم تحل بينهم وبين الالتحاق والانتساب لصفوف المقاومة.. مستلهمين الدروس النضالية، التي خاضها الآباء والأجداد، ضد الفاشي وأعوانه..

العبرة تنبع وتتدفق من الروح الوثابة، النضالية والاستشهادية التي تحلى بها المتطوعون الليبيون، هناك في فلسطين

فالتجربة النضالية، الجهادية والاستشهادية المتراكمة لليبيين وعبر العصور، رسمت صورة مشرفة في أذهان الإخوة العرب عن المشاركات النضالية لإخوتهم الليبيين، وفي مختلف الساحات..

صور مشرفة، معمدة بالدماء، والعبر والدروس المستفادة التي لا تضاهى.

رايــات

العَلَم، أو الراية أو البيرق.. كلها مسميات لمعنى واحد، الوطن أو ملخص دلالاته، نضال شعبه، أو ما يفاخر به، أو ما يشتهر بإنتاجه، أو مجموع ذلك كله.

كافة دول العالم وأقطاره المعترف بها، لها عَلَمٌ يعبر عنها ويرمز لها.. واحترام الراية يدل دلالة لا مراء فيها، على حب الوطن، وتقديس أرضه، والانتماء إليه..

سينبري أحد ما، ليقول:- كل هذا معروف، ومن البديهيات، ولا يخفي ذلك على أي إنسان، فما المقصود وما الغاية؟

أذكر ، وفي إحدى الزيارات لدولة عربية ، كنت أسير في أحد شوارع عاصمة هذه الدولة، فإذا بسيارة عامة، تقف على أحد الجسور، ليحط منها رهط من الرجال، يحملون رزمة من الأعلام، بكل انضباطية ووقار، ليرفعوها على السواري المُعّدة والمَنتصبةَ على هذا الجسر، فإذا بها وبعد دقائق بسيطة، ترفرف مزهوة، بأبهة وفخر، صعد الرجال المركبة. غادروا المكان، مواصلين سيرهم، دون ضجة أو جلبة، حينها سألت مرافقي وهو ابن البلد، عن الحدث والمناسبة، قال بوقار و إجلال، غداً هو يوم العيد الوطني.. هنئت صديقي.. بهذه المناسبة التي تعنينا جميعاً وعدنا لحديثنا السابق..

بعد يومين اثنين "فقط" وفي نفس الميقات أو التوقيت تقريباً، حضر الرجال وربما غيرهم، لِينزلوا الأعلام، بذات السياق، مكررين نفس الطقوس.. التي تمت قبل يومين، أخذتُ بالاحترام المتبع، والذوق الرفيع الذي رافق العملية برمتها.. في الرفع والخفض أو الإنزال وقلت.. "ليت شعري"، يقول العرب القدماء تحسراً.. ليفهم الجميع وفي المناسبات كافة، أن العَلَم أو الراية - سمِّه ما شئت- له قدسية بحجم ومحبة الوطن.. ومقدس كما قدسية الدماء التي أريقت على ثراه، وغالي بقدر التضحيات الجمة التي قدمها الآباء والأجداد كي ننعم نحن بما قدموه..

نرفع الراية، ولكن حتى تبلى، تعلق الزينات والأضواء، ولكن حتى تتلف أو تختفي.. وفي هذا الباب أو الملف الكثير.. مما يقال..

ولكن احترام وتقديس الراية، يبدأ بتوعية النشء في البيوت ورياض الأطفال، والمدارس الأولية والمراحل الأساسية من التعليم.. فمن تلك الأماكن، تبدأ الرحلة.. فالتعليم وحده لا يكفي، فالمسألة تحتاج إلى تعليم وتربية، بيت ومدرسة، أم وأب، أسرة ومجتمع، ومؤسسات أهلية. فالأبجدية حرف يسند حرف، وكلمة تعاضد وتكمل كلمة، وجملة تعقب جملة ، كذلك هو حب الوطن، سلالم وعتبات، نجوم وثريات.. حينها يعلو النشيد وترفرف خفاقة، عزيزة راية الوطن.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
ومضات	7
أبجديات	9
تداعيات	11
عتبات	13
مباهج	15
تحنان	17
هتاف	19
بوابات	21
غزوات	23
إيقاع	25
أضواء	27
ينابيع	29

الموضوع	الصفحة
عنفوان	31
أناشيد	33
تماهٍ	35
شواهد	37
تألق	39
مباهاة	41
قصائد	43
مقامات	45
مآثر	47
ضفاف	49
انتماء	51
غزل	53
أسرار	55

الموضوع	الصفحة
منـــارات	57
طموحات	59
وشــــائج	61
إبداعات	63
الملكـــــة	65
جمــــوع	69
اســتكبار	71
أحـــلام	73
شـــموس	75
أندلسيات	77
مواســـم	79
تضحيات	81
ريـــــادة	83

الموضوع الصفحة

أعطيـات 85
قناديـــل 87
رايات 89

صدر للشاعر

حالات... ديوان شعر

صهيل الريح... ديوان شعر

الحلم والتوق إلى الحرية... مقالات

★ تحت الطبع

الأشياء التي لا تضاهي - شعر



حسن أبو يوسف اللويشي

يقدم مجلس الثقافة العام للقارىء الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًّا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.

حسن أبو يوسف اللويشي

مجلس الثقافة العام